الأخلاق في الإسلام

أسسها وخصائصها وتعلمها

تأليف

أ.د.سليمان بن صالح القرعاوي

أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية التربية - جامعة الملك فيصل

الأخلاق في الإسلام

أسسها وخصائصها وتعلمها

تأليف

أ . د . سليمان بن صالح القرعاوي

أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية التربية ، جامعة الملك فيصل

الأحساء

١٤٢٩هـ

(ح) سليمان بن صالح القرعاوي ، ١٤٢٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرعاوي ، سليمان بن صالح
الأخلاق في الإسلام / سليمان بن صالح القرعاوي – الأحساء ، ١٤٢٧هـ
٩٦ص ، . سم
ردمك: ١-٩٤١-٥٦-٩٩٦٠
١- الأخلاق في الإسلام أ. العنوان
ديوي ٦٩٦٤٢١٢ / ١٤٢٧
رقم الإيداع: ٦٩٦٤ / ١٤٢٧هـ
ردمك: ١-٩٤١-٥٦-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ

يطلب من المؤلف

مطابع دار الثقافة العربية ت: ٢٠٤٣٨٨٥ /٠١ ف: ٢٠٤٣٨٨٢

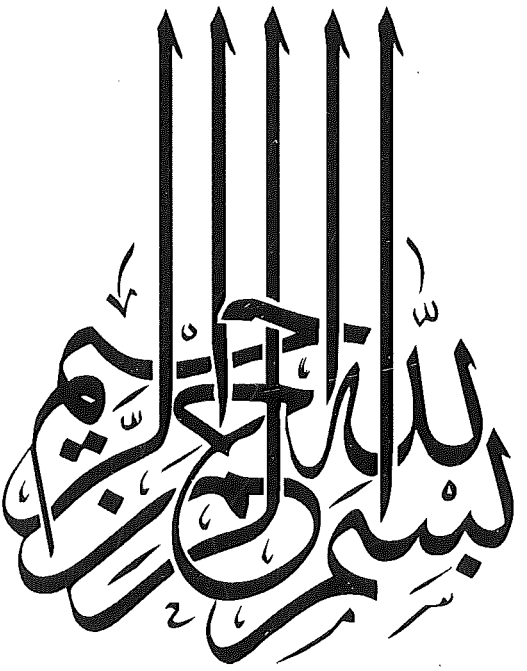
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله القائل: « **أدبني ربي فأحسن تأديبي** »(١) ، فقد أثنى عليه رب العزة في كتابه الكريم ، فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن الأخلاق في الإسلام - هي الأخلاق الفاضلة ، إنها صالح الأخلاق ، ومحاسن الأخلاق ، ومكارم الأخلاق ؛ فالرسول ﷺ - يقول : « **إنَّما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** »(٢).

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٨١) ، واللفظ له ، والحاكم في مستدركه (٢/ ٦١٣) .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٩٢) ، وأحمد بن حنبل في المسند (٢/ ٣٨١) ، والبخاري في الأدب المفرد (حديث ٢٧٣) ، والقضاعي في مسند الشهاب (حديث ١١٦٥) ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (حديث ٤٤٣٢) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩١-١٩٢) ، والخرائطي في مكارم الأخلاق (١/ ١ حديث ١) ، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (حديث ١٣) ، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٣٤) .

جميعهم من طريق محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ .

و في رواية البيهقي ، والقضاعي بلفظ (مكارم) .

وفي هذا الإسناد : محمد بن عجلان قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (الترجمة =

وفي رواية أخرى : « **إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق** » (١).

وفي لفظ عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله بعثني بتمام محاسن الأخلاق ، وكمال محاسن الأفعال** » (٢) .

والقيم الخلقية الفاضلة هي تلك القيم الإنسانية العليا التي أصبحت سلوكًا للأفراد ونهجاً للجماعة والأمَّة .

والقيم الإسلامية من منظور إنساني شامل ، تمثل منظومة أخلاقية لتأسيس أرقى حضارة إنسانية ، يكون فيها الإنسان -كما أراد له الله تعالى- خليفة في الأرض ، ويستحق بنو آدم تلك المرتبة التي أرادها الله لهم وكرمهم بها، حيث يقول الله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

= ٦١٣٦) : « صدوق إلا أنه اختلط عليه أحاديث أبي هريرة » .

قال الإمام ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٣٤) : « هذا حديث متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره » .

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٦٥ ح ١٢٠) من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ما يمنعك أن تحب أن تعيش حميدًا وأن تموت فقيرًا ، وإنما بعثت لإتمام محاسن الأخلاق » .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٣) : « وفي إسناده : عبد الرحمن بن أبي بكر الجدعاني وهو ضعيف » .

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ، فيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف ، لكن للحديث شاهدًا من حديث أبي هريرة (هامش ٢ ، ص٥) . انظر : شرح السنة للبغوي (١٣/ ٢٠٢).

و « الحضارة في مفهومها العام : نظام ، وقيم ، ومعان ، وأسس ومبادئ ، ومنظومات من السلوك وطبيعة حياة ، يزخر بها مجتمع ما ، وتسيطر على مجريات الأحداث فيه ، يدعمها ويحافظ على بقائها عمل متصل ، وفعالية عالية مرتفعة ، يسهم فيها كل إنسان قادر مؤهل بقدر طاقته وتأهيله ، وتبقى الحضارة والرقي ما بقي العمل المتصل ، والعطاء المتجدد ، والفعالية المرتفعة ، فيتطور الفكر ويتفاعل ، وتبرز المخترعات ، وتتطور الاكتشافات ؛ لتنتج أدوات تلك الحضارة ومنجزاتها » (١).

والبناء الأخلاقي للأمة هو الإطار الذي يحكم تصرفات الأمة ومواقفها في الداخل والخارج .

« إن لكل ثقافة رموزها التي تتبدى في الأشكال والصور التي تكتس بها إحساساتها ومشاعرها وأفكارها وعقائدها والتعبير الرمزي هو استجابة تكثفت وتحولت إلى شكل ذي قيمة دائمة وهو يختلف عن الاستجابة الانفعالية المباشرة التي تنتهي وتذوي في أفعال هي صدى مباشر للحياة .

وخلاصة القول إنه من السهل على أمة أن تنقل حضارة علمية وتقنية ، ولكن عليها أن تصوغ الثقافة التي ترتبط بها والتي تنعكس في القيم الأخلاقية وأساليب الحياة ونوع المشاعر والوجدانات في الشكل الذي يناسبها لأن المضمون قد يتفق ؛ ولكن التعبير والشكل الخاص بهذا المضمون يتنوع ويختلف » (٢) .

والبحث في الأخلاق الإسلامية – هو بحث في ثقافة الأمة وحضارتها ،

---

(١) دراسات في البناء الحضاري للدكتور محمود محمد سفر ، ص (٢٥ ، ٢٦) .

(٢) القيم والحضارة للدكتورة أميرة حلمي مصر ، ص (٩٨) .

فالنظام الاجتماعي والسياسي للأمة في نطاقه الداخلي والخارجي -هو النظام الخلقي ، فالنظام الأخلاقي هو الأساس الذي تقوم عليه ثقافة الأمة الإسلامية وحضارتها ، وهو المنهج الذي تنتهجه الأمة الإسلامية أفرادًا وشعوبًا ونظمًا في جميع الأحوال الخاصة والعامة وفي جميع المواقف ، والنظام الخلقي في الإسلام نظام يقوم على الشريعة الإسلامية لكل ما يتضمنه هذا النظام من أوامرٍ ونَواهٍ وواجب وحلال ومباح .

« ولا يمكن وصف فعل بأنه أخلاقي إلا إذا كان مرتبطًا بقاعدة تعارف الناس عليها وأبدى كل منهم استعداده لاحترامها ، وإلا أصبح الفعل عن سلوك عشوائي ، أقرب إلى سلوك الإنسان .

والضابط في ذلك كله ما أحله الشرع ، وما حرمه ، وما سكت عنه ، فالحلال في الشرع ما أحله الكتاب والسنة ، والحرام ما حرمها ، وما سكت عنه الشرع فهو على الإباحة الأصلية ؛ لقوله ﷺ : عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **إن الله حد حدودًا فلا تعتدوها ، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك أشياء من غير نسيان من ربكم ولكن رحمة منه لكم فاقبلوها ولا تبحثوا فيها** » (١) .

والأمر الخلقي يصبح أكثر احترامًا إذا كان يهدف إلى ما يحقق مصلحة الإنسان الذِي يميل إلى فعل ما يعود عليه بالضرر ، ونفع الإنسان وضرره مرتبط بعلاقاته مع الآخرين ، فمن يعمل من أجل نفع نفسه سوف يعمل ، قصد أم لم يقصد إلى نفع غيره .

والامتثال في فكرة المقاصد مقصود به طاعة الأمر من شأنه أن يعمل على

---

(١) مستدرك الحاكم (٤/ ١١٥)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٦٦).

حفظ الحياة واستقامتها ودفع ما يفسدها ، وبذلك لا يكون الامتثال طاعة لأمر مفروض من الخارج على الإنسان .

والشرع هو ضابط النظام الخلقي الذي يضبط منهج الأمة وسلوك أفرادها ، وهو الإطار الذي ينتظم كل ذلك ، وهو المعيار الذي يقوم على أساسه المنهج والسلوك والمواقف .

« ويُعدُّ الفرد في الإسلام مهمًا ؛ لأنه وحدة من القوة الأخلاقية وفي العرف الإسلامي تصور آخر يتعلق بالفرد في الجماعة ، ويمنح الناس وسيلة للترابط وإحساسًا بالاتحاد لا يوجد أحيانًا في التصورات الغربية الحديثة للإنسان . هذه الشخصية المتحدة يعمل على تكوينها التصور الخاص (بدار الإسلام) أي تآخي المؤمنين . وليس هذا التصور مجرد تفكير نظري ، إنه واقع غير محسوس يضفي على كل مسلم شعورًا بالترابط الوجداني في سمع كل مسلم آخر ، كما يهبه إحساسًا بالأمن . فهو ينتمي إلى كل ما يعلو به المسلم على فروق اللون ، والطبقة ، والجنسية (بالمعنى الغربي للكلمة) ، ونظم الدولة . إنه يستطيع أن يحس بأنه في داره في أرض شاسعة متناثرة من الساحل الأطلنطي لإفريقيا إلى قلب المحيط الهادي ، حيثما كان الإسلام هو الدين السائد والثقافة الغالبة. كل هذا ينشئ ، أو هو قادر على أن ينشئ ، روحًا جماعية ، ووحدة بين شعوب لها أهمية بالغة .. وينبغي أن نذكر أن هذه الأخوة تظهر أقوى ما تظهر عندما يهدد العالم الإسلامي ، أو أي قسم من أقسامه ، مصدر غير إسلامي .. إن هذه الرابطة قوة حقيقية وفي الإمكان أن تصبح عامل تقوية في العالم الإسلامي كله[1] .

---

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص (٧٥) .

وقد قسمت البحث إلى مدخل و ثلاثة فصول ،

تناولت في المدخل مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحًا.

الفصل الأول : منظومة الأخلاق في الإسلام ، نماذج من الأخلاق والقيم الإسلامية .

وقدمت دراسة موجزه للأخلاق الرئيسة في الإسلام فدرست :

الصدق ، العدل والمساواة ، الوفاء ، الأمانة ، الحياء ، الحلم ، الكرم والجود ، الصبر ، التواضع .

الفصل الثاني : أسس الأخلاق وخصائصها ، وتمثل أسس الأخلاق الإسلامية القواعد الرئيسة لهذه الأخلاق والضوابط العامة والخاصة لها .

الفصل الثالث : تعلم الأخلاق في الإسلام .

وقد درست فيه علاقة التربية بالتعلم والأهداف المتوخاة من التعلم بوصفه إطاراً للتربية وضابطاً لها . ودرست المناهج والوسائل والطرق التي تتصل بالتربية الإسلامية وأساليبها في غرس الأخلاق والقيم الإسلامية الفاضلة في أبناء الأمة الإسلامية .

والله ولي التوفيق

المدخل

مفهوم الأَخْلاق

الخُلُق في اللغة : السَّجيّة والعادة والطبيعة والدين والمروءة ، والجمع : الأَخلاق .

وفي عرف العلماء :

١- عرف العلماء الخُلق بعدة تعريفات ، منها : مَلَكة تصدر بها عن النفس الأَفعال بسهولة من غير تقدُّم فِكْرٍ ورويَّةٍ وتكلف .

والخُلُق في الإسلام هي السجايا الطيبة التي ورثها الفرد عن أجداده ، وهَذَّبها القرآن الكريم والحديث الشريف ، وضبطها ، فالرجل ذو الدين هو الرجل ذو الخلق ، وهنا يلتقي العلم بالعبادة بالسلوك ، فالعلم بما أمر الله والتعبد به والتخلق وفقًا له هو خلق المسلم ، فالدين هو القانون السماوي الذي أوجبه الله على عباده ، فأمرهم بأشياء ونهاهم عن أشياء وسكت عن أشياء ، وفقهاء الأمة هم الذين يبينون للأمة كل ذلك .

وينقسم الخلق إلى فضيلة ، وهي مبدأ لما هو كمال ، ورذيلة هي مبدأ لما هو نقصان ، وغيرهما وهو ما يكون مبدأ لما ليس شيئًا منهما . وتوضيحه أنّ نفس الإنسان من حيث تعلّقها بالبدن وتدبيرها إيّاه تحتاج إلى قوى ثلاث : إحداها القوة التي بها تعقل ما يحتاج إليه في تدبيره وتسمّى بالقوة العقلية والنطقية والمَلَكية ، والنفس المطمئنة وتعبّر عنها أيضًا بقوة هي مبدأ إدراك الحقائق والشوق إلى النظر في العواقب والتمييز بين المصالح والمفاسد .

وثانيتها القوة التي بها تجذب ما ينفع البدن ويلائمه من المآكل والمشارب وغير ذلك وتسمى بالقوة الشهوانية والبهيمية والنفس الأمارة.

وثالثتها ما تدفع به ما يضرّ البدن ويؤلمه وتعبّر عنها أيضًا بما هي مبدأ الإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلّط والترفّع ، وتسمّى قوة غضبية ونفسًا لوّامة . قيل : والظاهر أنّ إطلاق النفس على هذه القوى الثلاث من باب إطلاق اسم المحل على الحال ، ثم صار حقيقة عرفية (١) .

٢- وعرف بعضهم الخلق بأنه « عادة الإرادة » يعنى أن الإرادة إذا اعتادت شيئاً فعادتها هي المسماة بالخلق ، فإذا اعتادت الإرادة العزم على الإعطاء سميت عادة الإرادة هذه خلق الكرم .

٣- وقريب من هذا التعريف قول بعضهم : هو تغلب ميل من الميول على الإنسان باستمرار، فالكريم هو الذي يتغلب عليه الميل إلى الإعطاء ويوجد عنده هذا الميل كلما وجدت الظروف الداعية إليه إلا في أحوال نادرة ، والبخيل من يغلب عليه الميل إلى التعود على البذل (٢) .

علاقة الخلق بالفضيلة :

فالفضيلة هي الخلق الطيب ، وقد قدمنا أن الخلق هو « عادة الإرادة » فإذا اعتادت الإرادة شيئًا طيبًا سميت هذه الصفة فضيلة (٣) ، والإنسان الفاضل هو ذو الخلق الطيب الذي اعتاد أن يختار وأن يعمل وفق ما تأمر به الأخلاق ، وبذلك

---

(١) كشاف (اصطلاحات الفنون) (١/ ٧٦٢).

(٢) كتاب الأخلاق (٥٠).

(٣) المسؤولية الخلقية والجزاء عليها ص (١٩).

يكون الفرق بين الفضيلة والواجب واضحًا ، فالفضيلة صفة نفسية ، والواجب عمل خارجي ؛ وعلى هذا يقال : فلان أدَّى الواجب ، لا يقال : أدى الفضيلة بل حاز الفضيلة .

وقد تطلق الفضيلة على العمل نفسه فيقال : « فضائل الأعمال » وليس يعنى بها كل عمل أخلاقي ، بل الأعمال العظيمة التي يستحق فاعلها الثناء الجزيل ، فلا تسمى دفع ثمن ما اشتُرى فضيلة . إنما تسمى الإتيان بالعمل الكبير مع تحمل المشاق في سبيله فضيلة .

الفضائل عند الحكماء أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، ففي الإنسان قوى ثلاث : القوة العاقلة وهذه إذا اعتدلت نشأ عنها فضيلة الحكمة ، والقوة الغضبية وهي إذا اعتدلت نشأ عنها الشجاعة ، والقوة الشهوانية أو البهيمية وهي إذا اعتدلت نشأ عنها العفة ، وهذه الفضائل الثلاث باعتدالها ينشأ عنها العدل ، فالعدل تتصف به النفس عند أداء هذه القوى الثلاث وظائفها باعتدال ، وعندما تكون متساندة بحيث تتعاون كل قوة مع الأخرى .

أهمية الأخلاق في بناء المجتمع الإنساني :

إِن الأَخلاق هي الرُّكن الأَساس للحضارة الإنسانية والمجتمع وللمجتمع الإنساني الفاضل وللحياة الإِنسانية الرافعة ، فالأخلاق الفاضلة. شرط للحياة الإنسانية الفاضلة ، ولارتقاء الإِنسان .

إن الإنسان الذي يسعى إلى الارتقاء بذاته ، والسمو بإنسانيته ، يعاني صراعًا داخليًا بين جانبه المادي وجانبه الروحي ، والأخلاق هي التي تساعده على انتصار الجانب الروحي فيه على الجانب المادي ، وتحقيق ما يسعى إليه من السمو

بإنسانيته ، ثم تصبح الأخلاق بمثابة صراط مستقيم على الفرد أن يحفظ توازنه عليه ؛ كي يعبر سالمًا خلال المجتمع من حيوانيته الدنيا إلى إنسانيته العليا.

وربما كانت المعجزة الكبرى التي تصنعها الأخلاق هي أنها ترد للإنسان كرامته ، وتحرك ما فيه من عنصر سمو وجلال ، وتسمو به فوق المستوى الطبيعي البحت ، إلا أن ذلك لا يتحقق على الوجه الأكمل إلا إذا كانت هذه الأخلاق مستوحاة من الدين ، وقائمة على أساس من العقيدة الصحيحة التي تتمثل في الإسلام .

وإذا كان الإنسان في حاجة إلى الأخلاق ، فإن المجتمع لا يقل عنه حاجة إليها ، فكما أن الفرد يضيره ويفسده أن يكون كاذبًا مرائيًا حسودًا خائنًا ماكرًا ظالمًا ، كذلك يفسد المجتمع شيوع هذه الصفات في أفراده ، ومعنى هذا أن للأخلاق آثارها على المجتمع ، كذلك لها آثارها على الإنسان أو الفرد ، فالمجتمع إن حسنت أخلاق كل فرد فيه صلح المجتمع وتحققت سعادة أفراده ، ولذا فإن قادة الإصلاح وفلاسفته يدعون أول ما يدعون إلى الأخلاق الفاضلة ؛ لأنها الدعامة الأولى في بناء كل مجتمع سليم (١) .

علاقة الخُلق بالضمير :

ويتحدث الدكتور / محمود زقزوق عن المسئولية الأخلاقية فيقول : لقد عرَّف علماء الأخلاق الإنسان بأنه « كائن أخلاقي » ، وذلك ؛ لأنه الكائن الوحيد من بين كل الكائنات الذي لا يستطيع أن يعيش في هذه الحياة بدون قيم تحكم سلوكه على المستويين الفردي والاجتماعي ، بل وتحكم سلوكه إزاء الكائنات

(١) الأخلاق بين الفلسفة والإسلام (٢١ ، ٢٢).

جميعًا . وهذا يعني أن الإنسان بهذا الوصف لديه -بالفطرة- ضمير يُلزمه بالسلوك الأخلاقي .

والرسالات السماوية لم تأتِ لتغيِّر فطرة الإنسان ، وإنما أتت مؤيِّدة ومكمِّلة لها . ومن هنا كان قول الرسول -عليه الصلاة والسلام- : « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالح الأَخْلاَقِ** » (١) . والدين حريص دائمًا على أن تكون أوامره ونواهيه مطابقة للعقل وللحكمة وغير مناقضة للفطرة . والرسول ﷺ في توجيهاته النبوية يُحيل الإنسان إلى ضميره -إذا اختلطت عليه الأمور (٢) ولم يستطيع أن يتبين أيَّ طريق يسلك- فيقول له : « **اسْتَفْتِ قَلْبَكَ** » (٣) وحتى في مقام الحساب والمسألة يوم القيامة يكون لسلطان الضمير هذا الدور المهم الذي تعبَّر عنه الآية الكريمة : ﴿ **ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾ [الإسراء : ١٤] .

وهذا يعني أن هناك ارتباطًا تامًا أو -بالأحرى- توحُّدًا بين الشعور بالمسئولية والضمير . وعندما نتحدث عن الضمير فإننا نعني به ذلك الشعور الكامن في أعماقنا والذي يُعَدُّ بمثابة (البوصلة) أو المؤشِّر الذي يحدِّد لنا الوجهة الصحيحة لسلوكنا الأخلاقي في الحياة .

وتُعَدُّ المسئولية الأخلاقية من الصفات المميَّزة للإنسان . وهي صفة يستمدها من طبيعته الإنسانية أولاً قبل أن تكون مفروضة عليه من خارجه ، ومن هنا

---

(١) تقدم تخريجه ص (٥).

(٢) يقصد بكلمة الأمور هنا الأمور المشتبهة التي لم يصدر حكمها بوضوح أو كانت مما اختلف فيه العلماء (وليس الأمر على إطلاقه) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٢٨).

فالإنسان مسئول أمام ضميره أولاً قبل أن يكون مسئولاً أمام الناس وأمام الله . وفي ذلك من التكريم للإنسان ما يجلُّ عن الوصف . ومن أجل ذلك ينبغي على الإنسان أن يكون على وعي تام بمسئوليته المتعددة الجوانب في هذه الحياة . فالإنسان الواعي تمامًا بمسئوليته لا يمكن أن يعيش على هامش الحياة ؛ لأنه مسئول عن الحياة ذاتها وعن إثرائها وترقيتها والنهوض بها (١) .

والضمير هنا يقابل الوازع الديني ، الذي تربى والتزم بالشرع الحنيف ، إنه هو النفس اللوامة التي تلوم صاحبها على فعل فعله ، أو على فعل تركه ، وتحثه على الخير ، وتلزمه بالحلال ، وتنهاه عن الحرام وفقًا لأوامر ربها ونواهيه .

(١) الإنسان والقيم في التصور الإسلامي (١٥٣ - ١٥٤) .

الفصل الأول

منظومة الأخلاق الإسلامية

إذا أردنا أَن نتحدث بالتفصيل عن منظومة الأخلاق الإسلامية لاحتجنا إلى مجلدات كثيرة . ولهذا نجد أنفسنا ملزمين بالإيجاز واستخدام مصطلح المنظومة هنا للتعبير عن أن الأخلاق في الإسلام تمثل بناء متكاملاً ينتظم الفرد والمجتمع والأمة والإنسانية جمعاء .

والبناء الخلقي المنظومي يتميز بالمرونة والحركية والتفاعل والتكامل فكل خلق يشد بأزر الخلق الآخر ويقويه ويدعمه ويطلبه ويستوجبه ، فالعدل يستوجب الصبر والتعاون والرحمة والقوة والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وكذلك حب الله ورسوله والمؤمنين والناس ، يستوجب العفاف والتواضع والإحسان والصدق والوفاء والإخلاص في السر والعلن ، والأمانة ، وسلامة النية ، والحلم والجود ، والحياء، والعزة ، والعقل ، والأخوة ، واحترام آدمية الإنسان ، وحب الخير ، وبغض الشر ، وصلة الرحم ، والنشاط ، وحب العمل ، والاستقامة ، يستوجب النزاهة ، والإيثار ، والترفع عن الدنايا ، وأداء الواجب ، التكافل ، والتواصل .

فكل خلق من هذه الأخلاق يقوي الخلق الآخر ويستوجبه ، فلا صدق بغير عدل ، ولا رحمة بغير صدق ، ولا حبَّ بغير رحمة ، ولا تكافل بغير حب ورحمة ...

ونعرض أهم هذه الأخلاق بشيء من التفصيل :

١- الصدق :

الصدق : هو ضِدّ الكَذِب ، وهو مشترك بين صدق المتكلِّم وصدق الخبر ،

فصدق المتكلم مطابقةُ خبره للواقع ، وكذبه عدمها ، وصدق الخبر مطابقة الخبر للواقع ، وكذبه عدم مطابقته للواقع (١) .

والصدق خلق إسلامي أصيل ، وهو أهم أسس منظومة الأخلاق الإسلامية قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة : ١١٩] .

ويقول الرسول ﷺ: « **إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة** » (٢).

وقال عليه الصلاة والسلام : « **إن الصدق طمأنينة ، وإن الكذب ريبة** » (٣) .

والصدق يستوجب صدق النية ، وصدق القول ، وصدق العمل ، وموافقة ذلك للإسلام .

قال ﷺ : « **إنَّما الأعمال بالنيات ، وإنَّما لكل امرئ ما نوى** » (٤) .

« ذلك أن إسلام الوجه لله متضمن القصد والنية لله .

وقد استعمل هنا أربعة ألفاظ : إسلام الوجه ، وإقامة الوجه ، كقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ » [الروم : ٣٠] .

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ص (١٠٧٠).

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق ، وفضله (٣/ ٢٠١٢).

(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٠٠).

(٤) صحيح البخاري ، كتاب كيف كان بدء الوحي (١/ ٢) .

والمسلم لا ينظر إلى الصدق كخلق فاضل يجب التخلق به لا غير ؛ بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك ، يذهب إلى أن الصدق من متممات إيمانه ، ومكملات إسلامه ؛ إذ أمر الله تعالى به ، وأثنى على المتصفين به ، كما أمر به رسوله وحث عليه ودعا إليه ، قال تعالى في الأمر به : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

وقال في الثناء على أهله : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] . وقال : ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] وقال : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر : ٣٢] ، وقال رسول الله ﷺ في الأمر به : « **عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابًا** » (١) .

هذا ، وإن للصدق ثمرات طيبة يجنيها الصادقون وهذه أنواعها :

أ- راحة الضمير ، وطمأنينة النفس ؛ لقول الرسول ﷺ : « الصدق طمأنينة » (٢).

ب- البركة في الكسب ، وزيادة في الخير ؛ لقول الرسول ﷺ : « **البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما**

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ٢٠١٣) كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق ، وفضله .

(٢) مسند الإمام أحمد (١/ ٢٠٠) .

وكذبا محقت بركة بيعهما » (١) .

ج- الفوز بمنزلة الشهداء ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « **من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه** » (٢) .

د- النجاة من المكروه (٣) .

٢-العدل :

العدل : التسوية في الحكم ، والمعاملة والقسمة ، والحقوق والواجبات ، وفق ما أمر به الله ورسوله ﷺ في المعاملات والعلاقات والمحسوسات ، وهو مضاد للجور والظلم ، فلا فرق بين أبيض وأسود ولا بين قريب وبعيد ، ولا فرق بين عربي ولا عجمي .

والعدل أداء الحقوق لأصحابها كاملة غير منقوصة . ويستوجب العدل الصدق والرحمة والقوة ، فالعادل صادق فيما يقول ، صادق فيما يفصل ، قوي في رحمته وأداء الحقوق وبيانها وتقسيمها ، رحيم في قوته ، فلا زيغ ولا ضلال ، ولا غش ولا كبر ، فمن معاني الكبر غمط الحقوق ، وغبن الناس .

وعدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً فهو عادل ، يقال : هو يقضي بالحق ويعدل .

والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه ، والعدل بالنظر إلى أصله ضد الجور (٤) .

---

(١) صحيح البخاري كتاب البيوع (٣/ ١٠).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ١٥١٧) كتاب الإمارة ، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله .

(٣) الآداب الإسلامية لأبي بكر الجزائري ص (١٧٢ - ١٧٣).

(٤) تاج العروس : (عدل) .

وقال الراغب : العدل ضربان : مطلق يقتضي العقل حُسْنُه ، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخًا ، نحو : الإحسان إلى من أحسن إليك ، وكف الأذية عمن كف أذاه عنك . وعدل يعرف كونه عدلاً بالشرع (١) .

والعدل هو أساس من أسس النظام السياسي والاجتماعي في الإسلام ، فهو من أسس سياستها مع أبناء الأمة الإسلامية ومع غير أبنائها من الأمم الأخرى .

والعدل أمر الله للناس جميعًا ، وللمسلمين خاصةً ، يقول تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل : ٩٠] .

ويقول تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء : ٥٨] .

وقال تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء : ١٣٥] .

فالله تعالى يأمر عباده أن يكونوا قوَّامين بالقسط أي بالعدل ، فلا يعدلوا عنه يمينًا ولا شمالاً ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه (٢) .

---

(١) المفردات للراغب : (عدل) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٦٠٢) .

فالإسلام يأمر بالعدل في الرضا والغضب ، وينهي عن الجور والظلم والطغيان .

ولهذا يعدل المسلم في قوله وحكمه ، ويتحرى العدل في كل شأنه ؛ حتى يكون العدل خلقًا له ، ووصفًا لا ينفك عنه ، فتنصبغ كل أقواله وأعماله بصفة العدل ، بعيد عن الحيف والظلم والجور ، ويصبح بذلك عدلاً لا يميل به هوى ، ولا تجرفه شهوة أو دنيا ، ويستوجب محبة الله ورضوانه وكرامته وإنعامه ؛ إذ أخبر تعالى أنه يحب المقسطين ، وأخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام عن كرامتهم عند ربهم بقوله : « **إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ ، وكلتا يديه يمين ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** »(١) .

وفي السنة العاشرة من الهجرة أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعثة إلى اليمن ، وقال له : « **سِر حتى تنزل بساحتهم ، فادعهم إلى قول : لا إله إلا الله . فإن قالوا : نعم ، فمرهم بالصلاة ، ولا تبغ منهم غير ذلك . ولأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك مما طلعت عليه الشمس ، ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك** »(٢)

وقال أيضًا : « **إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضِ بينهما حتى تسمع من الآخر** »(٣)

فنفذ علي رضي الله عنه وصية الرسول ﷺ ، وكان مثلاً للعدالة في معاملة اليمنيين وغيرهم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **اتق دعوةَ المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجابٌ** »(٤) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل (٢/ ١٤٥٨) .

(٢) مسند أحمد (٢/ ٦٦٦) .

(٣) مسند أحمد (٢/ ٦٩١) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم (٣/ ٩٩) .

أي احذر دعوة المظلوم ، فلا تظلم أحدًا ؛ لأن دعوته صادرة من قلب يتقد نارًا ، لا حجاب بينها وبين الله .

وقال ﷺ: « **إنَّ الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** » ثم قرأ ﷺ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾(١) [هود : ١٠٢] .

لقد جاهد الإسلام في تربية النفوس على العدالة ، حتى لا يصدر حكم من الأحكام إلا وفق مقاييس دينية ، ومبادئ إنسانية تتجلى فيها خشية الله ، ولا يحس أحد بالظلم في الحكم .

وفي المجتمع الإسلامي العادل تجد المسلم مستريح البال ، إذا أصيب بمكروه وجد من ينقذه ، وإذا ظلم وجد من يلجأ إليه لإزالة ظلمه ، وتفريج همه ، وإعطائه حقه .

وقد سلكت شريعة الإسلام في تربية النفوس وسائل مختلفة من الترهيب والترغيب ، منها : قول الرسول ﷺ : « **ثلاثةٌ لا تَرَدُّ دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يُفْطِر ، ودعوة المظلومِ تُحْمَلُ على الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء** »(٢) .

إن الإنسان مسئول مسئولية دينية وأخلاقية عن إقامة العدل الذي هو أساس العمران في هذا الوجود . وهذا يعني ضرورة التغلب على نوازع الأنانية ، وتغليب جانب العقل . وهذا - بدوره - يعني بقاء الأمل في تحقيق العدل حيًّا في النفوس . وهذا الأمل يشكِّل دافعًا قويًّا للتصميم على السعي نحو تحقيق العدل ، الأمر الذي

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (٣/ ١٩٩٧).

(٢) سنن ابن ماجه (١/ ٥٥٧) ح (١٧٥٢) ، وانظر : روح الإسلام (٢١٧ ، ٢١٨) .

يمكن أن يؤدي في النهاية إلى أن يصبح العدل في حياتنا حقيقة واقعة ، وأن يوجِّه سلوكنا ، ويحدِّد تصرُّفاتنا .

وعند التأمل في مفهوم العدل يتضح لنا أن للعدل جانبين لا يجوز أن ينفصل أحدهما عن الآخر . فالإنسان من ناحية في حاجة إلى العدل يطلبه ويسعى إلى تحقيقه ، ولكن العدل من ناحية أخرى في حاجة إلى من يحققه ويعمل على إقراره . فالإنسان - بدون العدل - لا يستطيع أن يحيا حياة حقيقية لها معنى ، العدل بوصفه (قيمة مثالية) ليس شيئًا ، ويظل شعارًا فارغًا من أي مضمون إذا لم يكن هناك من يعمل على تحقيقه في عالم الواقع . فالعدل ضروري للإنسان مثلما أن الإنسان ضروري لتحقيق العدل .

ومفهوم العدل في التصور الإسلامي مرتبط ارتباطًا وثيقًا بحرية الإنسان . والصيحة التي أطلقها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ وقال فيها : « **مَتَى اسْتَعْبَدتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا** » (١) كانت نتيجة ظلم وقع على أحد المصريين في حادثة مشهورة ، مما يؤكِّد ارتباط العدل بالحرية .

ومن الأمور التي تسترعي الانتباه في التطبيق الإسلامي لمبدأ العدل التحذير الشديد من خطورة تغلُّب مشاعر الكراهية أو العداوة إزاء بعض الناس أو الجماعات ، وتأثير ذلك بالسلب على تطبيق مبدأ العدل . وفي ذلك يقول القرآن الكريم في صراحة ووضوح :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

---

(١) سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ شخصيته وعصره ، د . علي محمد الصلابي ص (٣٣٧) .

شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة المائدة : ٨] .

ويشدِّد الإسلام على الالتزام بالعدل حتى في حالة ما إذا كان الأمر يتعلق بشخص الإنسان أو والديه أو أقاربه ومحبيِّه . يقول الله تعالى :

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ﴾ [سورة النساء : ١٣٥] (١) .

ولا يتناقض العدل مع غيره من الصفات الفاضلة ، فعدل القوي الرحيم الغيور هو العدل الذي يبرأ من القسوة ، يدل على ذلك قول الأستاذ العقاد في دراسته لصفات الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ : « الميسور في التعريف بهذا الرجل العظيم أن خلائقه الكبرى كانت بارزة جدًا لا يسترها حجاب .. فما من قارئ ألم بفذلكة صالحة من ترجمته إلا استطاع أن يعلم أن عمر بن الخطاب ﷺ كان عادلاً ، وكان رحيمـًا ، وكان غيورًا ، وكان فطنًا ، وكان وثيق الإيمان ، عظيم الاستعداد للنخوة الدينية .

فالعدل والرحمة والغيرة والفطنة والإيمان الوثيق صفات مكينة فيه لا تخفى على ناظر ، ويبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف تتجه هذه الصفات إلى وجهة واحدة ولا تتشعب في اتجاهها طرائق قددًا ، كما يتفق في صفات بعض العظماء . بل يبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف يتمم بعض هذه الصفات بعضاً حتى كأنها صفة واحدة متصلة الأجزاء متلاحقة الألوان (٢) .

---

(١) الإنسان والقيم في التصور الإسلامي ص (١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧) .

(٢) عبقرية عمر ص (٢٨) .

ولذلك تقوم سياسة الحكم في الإسلام بعد التسليم بقاعدة الألوهية الواحدة والحاكمية الواحدة على أساس العدل من الحكام ، والطاعة من المحكومين ، والشورى بين الحاكم والمحكوم ، ولذلك نجد قول الحبيب المصطفى ﷺ : « **إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسًا إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابًا إمام جائر** » (١) فالعدل في الإسلام قيمة عليا في المجتمع ؛ لأنه عدل مطلق لا يميل ميزانه بفعل الحب والبغض ، ولا يتأثر بالقرابة بين الأفراد ولا بالتباغض بين الأقوام .

فإقامة العدل بين الناس وتحديد ما هو العدل وما هو الظلم والجور هو من شأن خالق الإنسان وربه ، لا حق لمن سواه في أن يصنع للناس مقياسًا للظلم والعدل ، وهدف الإسلام هو العدل ، وما جاء الإسلام إلا لإقامة العدل في الدنيا.

ونستطيع أن نؤكد أن العدالة هي القيمة العليا في الفكر الإسلامي ، والتي ينبثق عنها وتشكل منها كافة القيم الأخرى مثل المساواة والحرية ...

ونجد عدالة الإسلام شاملة ، تحكم تعامل المسلمين مع غير المسلمين في داخل الدولة وخارجها وفي العالم كله : ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾** ﴾ [سورة الممتحنة : ٨] ، فالإسلام لم يستعمل القوة ضد الأديان المخالفة للإسلام ، وإنما استعمل القوة ضد العدوان ، ولو صدرت من المسلمين أنفسهم كما هو شأن قتال البغاة (٢) .

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ٦١٧) ح (١٣٢٩) .

(٢) القيم السياسية في الإسلام (٧٠ ، ٧٣ ، ٨٧) .

هذا وإن للعدل ثمرات طيبة يلمسها القائمون ، فمن ثمرات العدل في الحكم : إشاعة الطمأنينة في النفوس ، وعدم الخشية من ضياع الحق .

وأما الاعتدال فإنه أعم من العدل ، فهو ينتظم كل شأن من شؤون المسلم في هذه الحياة ، والاعتدال هو الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط وهما الخُلُقان الذميمان ، فالاعتدال في العبادات أن تخلو من الغلو والتنطع والإهمال والتفريط ، وفي النفقات الحسنة بين السيئتين : فلا إسراف ولا تقتير ، ولكن القوام بين الإسراف والتقتير ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الفرقان : ٦٧] ، والاعتدال أخو الاستقامة ، وهو من أشرف الفضائل وأسمى الخلائق ؛ إذ هي التي توقف صاحبها دون حدود الله فلا يتعداها ، وتنهض به إلى الفرائض فلا يقصر في أدائها ، أو يفرط في جزء من أجزائها ، وهي التي تعلمه العفة فيكتفي بما أحل له عما حرّم عليه .

ويكفي صاحبها شرفًا وفخرًا قول الله تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الجن : ١٦] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الأحقاف : ١٣- ١٤] (١).

٣-المساواة :

يقوم العدل بين الناس على أساس المساواة ، **يقول الأستاذ محمد الأبراشي:**

١- إن الإسلام دين المساواة ، دين العدالة ، دين لا يفضل فيه أحد على آخر إلا بالعمل الصالح والتقوى ، دين لا يميز جنسًا من الأجناس ،

---

(١) الآداب الإسلامية لأبي بكر الجزائري ص (١٦٥).

وطبقة من الطبقات ، أو سلالة من السلالات ، ودين يدعو إلى المساواة بين الأفراد . وقد أرسل المصطفى ﷺ إلى الناس جميعًا من غير تفرقة بينهم .

قال جل شأنه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة سبأ : ٢٨] .

وقد روى مسلم في صحيحه أن أبا ذر رضي الله عنه قال : إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام ، وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه ، فشكاني إلى النبي ﷺ ، فلقيت النبي ﷺ ، فقال : « **يا أبا ذر ! إنك امرؤ فيك جاهلية** » (١) .

٢- وقد نادى الإسلام بحق المساواة بين الناس ؛ لأنهم مخلوقون من أصل واحد ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [سورة الحجرات: ١٣] .

وقال المصطفى ﷺ : « **لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطع محمد يدها** » (٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق ، فقال : « **يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وأن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى** » (٣) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إطعام المملوك مما يأكل (٢/ ١٢٨٢) ح (١٦٦١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، ما ذكر عن بني إسرائيل (٤/ ١٥١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود ، باب قطع يد السارق (٢/ ١٣١٥) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ٤١١) .

وروى مسلم في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ ، جهارًا غير سر ، يقول : « **ألا إن آل أبي (يعني فلانًا) ليسوا لي بأولياء ، إنما ولي الله وصالح المؤمنين** » (١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال : « **يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَةَ الجاهلية وتعاظمها بآبائها ؛ فالناس رجلان : بر تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هيِّن على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب** » (٢) ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] .

٤- الوفاء :

من الأخلاق الجامعة في الإسلام - خلق الوفاء الذي يمتد ليشمل الدين كله ، والحياة بأسرها ، فهناك وفاء للخالق ووفاء للخلق ، ولا انفصال بينهما ، فالوفاء لله مقدمة الوفاء للبشر ، والحفاظ على عهد الله بداية الحفاظ على عهود البشر . قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [سورة النحل : ٩١] .

وجعل الرسول ﷺ نقض العهد وخلف الوعد من طبع المنافقين ، فقال :

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم (١/ ١٩٧) .

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٣٨٩) ح (٣٢٧٠) ، وانظر : روح الإسلام ص (٢٣٦ - ٢٣٨) .

« آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » (١) وقال ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (٢) .

والإسلام لا يفرق في الوفاء بالعهد بين مسلم وغير مسلم ، ولا بين قريب وبعيد ، ولا بين صديق وعدو .. قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة الأنفال : ٥٨] .

٥- الأمانة :

تقترن الأمانة بالوفاء اقترانا وثيقًا ، فالوفاء ينتظم كل عمل يؤتمن عليه المرء من رَبَّه ، أو أهله ، أو أمته ، لذلك الأمانة تعد من الفضائل الرئيسة والقيم المهمة في حياة الأفراد والجماعات . وقد اهتم الإسلام بها اهتمامًا بالغًا إلى الحد الذي جعلها صنوًا للدين ، وعلامة على الإيمان ، بمعنى أن غيابها يعني في الوقت نفسه غياب الإيمان . ولا غرابة في ذلك ، فهما مشتقان من أصل لغويٍّ واحد . وفي هذا السياق جاء الحديث النبوي الشريف : « ألاَ إنَّه لاَ دِينَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى » (٣) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامات المنافق (١/ ١٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق (١/ ٧٨) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامات المنافق (١/ ١٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق (١/ ٧٨) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٣٥) ، وانظر : الإنسان والقيم ص (١٩٤) .

معاني الأمانة وتطبيقاتها في الإسلام :

أ- الأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة ، وهي ترمز إلى معان شتى ، مناطها جميعا شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه . وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه ، على النحو الذي فصله الحديث الكريم : « **ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته** » (١) .

ب- ومن معاني الأمانة وضع كل شيء في المكان الجدير به . واللائق له ، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيق به . ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذي ترفعه كفايته إليها .

فعن أبي ذر ﷺ قال : يا رسول الله .. ألا تستعملني . قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : « **يا أبا ذر : إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها** » (٢) .

إن الكفاية العلمية أو العملية ليست لازمة لصلاح النفس ، فقد يكون الرجل رضي السيرة ، حسن الإيمان ، ولكنه لا يحمل من المؤهلات المنشودة ما يجعله منتجًا في وظيفة معينه .

ج- ومن معاني الأمانة أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً في العمل الذي يناط به ، وأن يستنفد جهده في إبلاغه تمام الإحسان .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، ح (١٨٢٨) .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (٢/ ١٤٥٧).

د- ومن الأمانة ألا يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه لجر منفعة إلى شخصه أو قرابته ، فإن التشبع من المال العام جريمة ، قال رسول الله ﷺ : « **من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا ، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول** » (١) ؛ لأنه اختلاس من مال الجماعة الذي ينفق في حقوق الضعفاء والفقراء ، ويرصد للمصالح الكبرى .

هـ- ومن معاني الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها ، فلا تدع لسانك يفشي أسرارها ، ويسرد أخبارها .

وللعلاقات الزوجية - في نظر الإسلام - قداسة ، فما يضمه البيت من شؤون العشرة بين الرجل وامرأته ، يجب أن يطوى في أستار مسبلة ، فلا يطلع عليه أحد مهما قرب .

و- والودائع التي تدفع إلينا لنحفظها حينًا ، ثم نردها إلى ذويها حين يطلبونها هي من الأمانات التي نسأل عنها .

قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [سورة النساء : ٥٨] (٢) .

« وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٢] قيل : هي كلمة التوحيد ، وقيل : العدالة ، وقيل : حروف التهجي ، وقيل : العقل ، وهو صحيح ؛ فإن العقل هو الذي لحصوله يتحصل معرفة التوحيد ، وتجري العدالة ، وتُعَلَّم وحروف التهجي ، بل

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري (١/ ٥٦٠) .

(٢) خلق المسلم ملخصًا (٤٢ ، ٤٨) .

لحصوله تُعَلَّم كل ما في طوق البشر تعلمه ، وفِعْل ما في طوقهم من الجميل فِعله ، وبه فُضِّل الإنسان على كثير ممن خلق الله » (١) .

٦- الحياء :

الحياء : انقباض النفس عن فعل القبائح ، وتركها ؛ لذلك يقال حَيِـي فهو حَيٌّ ، واستحيا ؛ فهو مستحْيٍ ، وقيل : استحى فهو مستحٍ ، قال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٦] وقال ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [سورة الأحزاب : ٥٣] (٢) .

وقال آخرون : الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ، خالقًا كان أو مخلوقًا (٣) .

والحياء قسمان : جِبِلِّي ومكتسب .

فالجِبِلِّي هو : ما فطرت النفوس عليه من ترك ما يحيك في الصدر ويخشى المرء اطلاع الناس عليه ، ككشف العورة ، ومعاشرة المرأة أمام الناس ..

ومكتسب : وهو ترك ما يذم شرعًا ، كشرب الخمر والجهر بالفطر في رمضان والتهاون في الصلاة (٤).

قال رسول الله ﷺ : « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم**

---

(١) المفردات : (أمن) .

(٢) المفردات : (حَيِيَ) (١٤٠) .

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٢) ، ورياض الصالحين ص (٢٧٢) ، ودليل الفالحين (٣/ ١٥٨) .

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ص (١٥٠) .

تستحيي فاصنع ما شئت » (١) .

وقال أيضًا ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** » (٢) وامتداحه الرسول ﷺ فقال : « **الحياء خير كله** » (٣) وقال : « **الحياء لا يأتي إلا بخير** » (٤) .

وقولهم : لا حياء في الدين ، بمعنى أن المرء لا يمتنع عن السؤال في أمور دينه واكتساب الفقه فيه ولا يتحرج من طلب العلم مهما كان غنيًا أو فقيرًا ، رجلاً أو امرأة ، وسواء أكان السؤال في الشئون العامة أم الخاصة ..

ومن وقائع العهد النبوي في هذا المجال ما يلي :

في صحيح مسلم بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال : جاءت أم سُليم إلى رسول الله ﷺ فقالت له وعائشة عنده : يا رسول الله ، المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه ، فقالت عائشة : يا أم سُليم فضحت النساء ، تربت يمينك ، فقال ﷺ لعائشة : « **بل أنت فتربت يمينك ، نعم ، فلتغتسل يا أم سُليم إذا رأت ذلك** » (٥) .

والحياء يتنافى مع الجبن ، فالحياء يمنع من القبائح ، أما الجبن فيمنع من

---

(١) سنن أبي داود (٥/ ١٤٨) ح (٤٧٩٧) .

(٢) صحيح مسلم (١/ ٦٣) كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها .

(٣) صحيح مسلم (١/ ٦٤) كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان .

(٤) صحيح البخاري في الأدب ، باب الحياء (٧/ ١٠٠) .

(٥) صحيح مسلم (١/ ٢٥٠) كتاب الحيض ، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المنيّ منها .

المكارم [1] .

والحياء أمارة صادقة على طبيعة الإنسان ؟ فهو يكشف عن قيمة إيمانه ومقدار أدبه ، وعندما ترى الرجل يتحرج من فعل ما لا ينبغي ، أو ترى حمرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه ما لا يليق ، فاعلم أنه حي الضمير ، نقي المعدن ، ذكي العنصر . إذا رأيت الشخص صفيقًا ، بليد الشعور ، لا يبالي ما يأخذ أو يترك ، فهو امرؤ لا خير فيه ، وليس له من الحياء وازع يعصمه عن اقتراف الآثام وارتكاب الدنايا .

وقد وصى الإسلام بنية الحياء ، وجعل هذا الخلق السامي أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل .

قال رسول الله ﷺ : « **إن لكل دين خلقًا ، وخلق الإسلام الحياء** » [2] .

وقال رسول الله ﷺ : « **الحياء والإيمان قرنا جميعًا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر** » [3].

من مواضع الحياء في الإسلام :

١- وللحياء مواضع يستحب فيها ، فالحياء في الكلام يتطلب من المسلم أن يطهر فمه من الفحش ، وأن ينزه لسانه عن المغيب .

٢- ومن الحياء أن يخجل الإنسان من أن يؤثر عنه سوء ، وأن يحرص على

---

(١) قيم أخلاقية ملخصًا (٩٤ ، ٩٦) .

(٢) سنن ابن ماجه ح (٤١٨١) .

(٣) المستدرك للحاكم (١/ ٢٢) .

بقاء سمعته نقية من الشوائب ، بعيدة عن الإشاعات السيئة (١) .

وعن ابن مسعود ﷺ : قال رسول الله ﷺ : « **استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : إنا نستحيي من الله يا رسول الله - والحمد لله - قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء : أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى ؛ فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء** » (٢) .

وقال إياس بن قرة : « كنت عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله فذكر عنده الحياء ، فقالوا : الحياء من الدين ، فقال عمر : بل هو الدين كله » (٣) .

قال الشاعر :

فـــلا والله مـــا في العـــيش خـــير ولا الـــدنيا إذا ذهـــب الحيـــاء
يعـــيش المـــرء مـــا اســـتحيا بخـــير ويبقـــى العـــود مـــا بقـــي اللحـــاء (٤)

من فوائد الحياء :

- من خصال الإيمان وحسن الإسلام .
- هجر المعصية خجلاً من الله ﷻ .
- الإقبال على الطاعة بوازع الحب لله ﷻ .
- يكسو المرء الوقار ، فلا يفعل ما يخل بالمروءة والتوقير ، ولا يؤذي من

---

(١) خلق المسلم ص (١٥٨، ١٦٤) .
(٢) الترغيب والترهيب (٣/ ٤٠٠) .
(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص (١٩) .
(٤) فضل الله الصمد (٢/ ٥٧) .

يستحق الإكراه .

- صفة من صفات الأنبياء والصحابة والتابعين .

- يعد صاحبها من المحبوبين من الله ومن الناس (١) .

٧- الحلم :

الحلم : ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب ، وجمعه أحلام ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم ﴾ [سورة الطور : ٣٢] قيل : معناه عقولهم وليس الحلم في الحقيقة هو العقل ، لكن فسروه بذلك ؛ لكونه من مسببات العقل ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [سورة هود : ٧٥] وقوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ [سورة الصافات : ١٠١] أي : وُجدت فيه قوة الحلم(٢) .

٨- ٩- الكرم والجود :

الجود والكرم والبذل والعطاء والسخاء والإيثار ، والجواد والكريم والباذل والمعطاء والسخي والمؤثر ؛ كلها ألفاظ متقاربة في المعنى ، والكرم ضد اللؤم ... والكرم إفادة ما ينبغي لا لغرض ، فمن وهب المال لجلب نفع أو دفع ضرر ، أو خلاصٍ من ذَم - فليس بكريم ... وأكرمه إكرامًا ، وكَرَّمه تكريمًا : عظمه ونزهه ، والكريم الصفوح عن الذنب (٣) .

والجود : بذل المقتنيات مَالاً كان أو علمًا ، ويقال : رجل جواد ، وفرس

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٥/ ١٨١٤) .

(٢) المفردات : (عفا) (١٢٩) .

(٣) تاج العروس : (كرم) .

جواد (١) .

وكان حاتم الطائي ممن ضرب بهم المثل في الكرم والجود قبل الإسلام ، ومن أقواله :

مهـلاً نـوار أقـلي اللـوم والعـذلا ولا تقولي لشيء فـات مـا فعـلا (٢)

وعن الحافظ أبي بكر البيهقي بإسناده قال : قالت سفانة لرسول الله ﷺ حين أسرها المسلمون : يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تُشْمِت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي ، وإنّ أبي كان يحمي الذِّمار ، ويفك العانِي ، ويُشبع الجائع ، ويكسو العاري ، ويُقْرِي الضيف ، ويُطْعِم الطعام ، ويُفْشِي السّلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط ، وأنا ابنة حاتم طيئ . فقال النبي ﷺ : « **يا جارية ، هذه صفة المؤمنين حقًّا ، لو كان أبوك مسلمًا لترحّمنا عليه ، خلُّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق** » (٣) .

قال ابن الأثير : الكريم هو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل (٤) .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الحشر : ٩] .

---

(١) المفردات : (جود) .

(٢) مكارم الأخلاق للخرائطي (٣/ ١٤١٣) .

(٣) دلائل النبوة (٥/ ٣٤١) .

(٤) النهاية في غريب الحديث (٤ / ١٦٦) .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعطى ممسكًا تلفًا » (١) .

١٠- الصبر :

الصَّبْر : حَبْسُ النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقضيان حبسها عنه ، فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف موقعه ، فإن كان حبس النفس لمصيبةٍ ؛ سمي صبرًا لا غير ، ويضاده الجزع ، وإن كان في محاربةٍ ؛ سمي شجاعةً ، ويضاده الجبن ، وإن كان في نائبةٍ مضجرةٍ ؛ سمي رحب الصدر ، ويضاده الضجر ، وإن كان في إمساك الكلام ؛ سمي كتمان ، ويضاده المذل ، وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبرًا ونبه عليه بقوله : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧] ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ [سورة الحج: ٣٥] ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] وسمي الصوم صبرًا ؛ لأنه كالنوع له ، وقال عليه الصلاة والسلام : « شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر » (٢) .

سياقات الصبر والمصابرة في القرآن الكريم :

ورد الصبر في القرآن الكريم في سياقات عديدة منها :

أ- الثناء على أهله كقوله : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] .

ب- الاستجابة لأمر الله تعالى بالصبر ، وإيجاب معيته لهم ، تلك المعية التي تضمن حفظهم قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب في المنفق والممسك (١/ ٧٠٠) .

(٢) رواه النسائي (٤/ ٢١٨) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٣) .

مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [سورة البقرة : ١٥٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال : ٤٦] .

ج- الإخبار أن أهل الصبر مع أهل العزائم قال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ [سورة الشورى : ٤٣] .

د- الإخبار بأنه يورث صاحبه الإمامة قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [سورة السجدة : ٢٤] .

هـ- اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان .

و- إطلاق البشرى لأهل الصبر على الابتلاء بمصائب الحياة الدنيا ومصاعبها ، بأن جزاءهم على صبرهم هو الحصول على صلوات من ربهم ورحمة ، وهداية إلى الصراط المستقيم بإذن الله ، قال تعالى :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة البقرة : ١٥٥] .

ز- مجازاة الصابرين على طاعة الله ، والتكاليف المنوطة بهم ، والتقوى ، ومجاهدة النفس ، ونهيها عن الهوى ، وتزكيتها ومحاسبتها ومراقبتها عند الابتلاءات جزاؤهم أن يوفيه لهم أجورهم بغير حساب ، قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ [سورة الزمر : ٩] وأولئك الصابرين لهم عقبى الدار ، لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ...﴾ [سورة الرعد : ٢٢] .

ح- ضمان النصر والمدد لهم قال تعالى : ﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [سورة آل عمران :

[١٢٥][1] .

وقال بعضهم : إن أهل الصبر على ثلاث درجات :

الأولى : عدم الشكوى ، وهذه درجة التائبين .

الثانية : الرضا بالمقدور ، وهذه درجة الزهاد .

الثالثة : المحبة لكل ما يفعله المولى بعبده ، وهذه درجة الصديقين .

والمعيار في الصبر هو الشرع وهو المحك الحقيقي للصبر [2] .

من فوائد الصبر والمصابرة :

١- ضبط النفس عن السأم والملل ، لدى القيام بأعمال تتطلب الدأب والمثابرة خلال مدة مناسبة ، قد يراها المستعجل مدة طويلة .

٢- ضبط النفس عن العجلة والرعونة ، لدى تحقيق مطلب من المطالب المادية أو المعنوية .

٣- ضبط النفس عن الغضب والطيش ، لدى مثيرات عوامل الغضب في النفس ، ومحرضات الإرادة للاندفاع بطيش لا حكمة منه ولا اتزان في القول أو في العمل .

٤- ضبط النفس عن الخوف لدى مثيرات الخوف في النفس .

٥- ضبط النفس عن الطمع لدى مثيرات الطمع فيها .

٦- ضبط النفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها.

٧- ضبط النفس لتحمل المتاعب والمشقات والآلام الجسدية والنفسية ،

---

(١) موسوعة نضرة النعيم ح (٦ / ٤٤٦) .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون : (صبر) .

كلما كان في هذا التحمل خير عاجل أو آجل(١) .

٨- ومن الفوائد الأخروية : دخول الجنة بغير حساب : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر : ١٠] .

١١- التَّواضع :

يقوم التواضع على أساس الإقناع بأن الناس جميعًا إخوة ، وأنهم متساوون ، وأنَّه لا فضل لأَحد على غيره من حيث الجنس واللون ، والوطن .

والتواضع محصلة لجملة من الأخلاق ، كالصدق والعدل والحياء والعفاف .

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « **ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** » (٢) .

وعن عياض المجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : « **ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا** » الحديث ، وفيه : « **وإن الله أوحي إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد** » (٣) .

قيل : غاية التواضع أن تخرج من البيت فلا رأيت أحدًا من الناس إلا رأيت أنه خير منك ، كذا في خلاصة السلوك (٤) .

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٦/ ٢٤٧١) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب العفو والتواضع (٣/ ٢٠٠١) .

(٣) مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة (٣/ ٢١٩٧) .

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون (١ / ٥٢٣) .

فالكبر اعتبار الإنسان نفسه خيرًا من الآخر ، كما أن الضِّعة هو أن يرى نفسه أقَلَّ من الآخر في مكان تَعرَّضَ فيه للتحقير ، وإضاعة الحق بذلك ، والتواضع هو وسط بين هذين الحدين . فالتواضع محمود ، والضعة مذمومة ، والكبر مذموم ، والعزة محمودة ، فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه ، وإكرامها ، كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها بدون حق ولا استحقاق (١) .

والمتصف بالكبرياء هو الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ **وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ [سورة الجاثية : ٣٧] .

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ عن الله عز وجل قال : « **العز إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني بشيء منهما عذبته** » (٢) .

من الأمراض الاجتماعية الكبرياء والافتخار ؛ لأنه يؤدى إلى فتور العلاقات الاجتماعية وتفككها ، ويعتبر دليلاً على ضعف الإيمان في النفس الإنسانية ، حذرنا منه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .. وبين ضرره ومخاطره بقوله الشريف : « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان** » (٣) .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « **وجدنا الكرم في التقوى ، والغنى في اليقين ، والشرف في التواضع** » (٤) .

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون : (الكبر) .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢/ ٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب البر ، ح (٢٦٢٠) .

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٦٥٥) ح (٢٤٩٢) ، وانظر : الإسلام والبناء الروحي ص (١١٨) .

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٣٤٣) .

ومن فوائد التواضع :

أ- أنه طريق موصل إلى مرضاة الله وإلى جنته .

ب- أنه السبيل إلى القرب من الله ومن ثم القرب من الناس .

ج- أنه عنوان سعادة العبد في الدارين .

د- أنه دليل على حسن الخاتمة وعلى حسن الخلق .

هـ- أنه يؤدي إلى حصول النصر والبركة في المال والعمر(١) .

(١) موسوعة نضرة النعيم (٤/ ١٢٦٨) .

الفصل الثاني

أسس الأخلاق الإسلامية وخصائصها

تمثل أسس الأخلاق الإسلامية القواعد الرئيسة لهذه الأخلاق والضوابط العامة والخاصة لها .

أما خصائص تلك الأخلاق فهي السمات العامة المميزة لهذه الأخلاق وأهمها اتصالها بالقرآن الكريم وعمومها لكل أجناس البشر وشمولها كل مناحي الحياة واتصالها وتفاعلها فيما بينها .

أولاً : أسس الأَخلاق في الإسلام

أُسس جمع أساس ، والأساس أصل البناء ، وقاعدته التي يقام عليها ، والأَساس : أصل كل شيء ومبتدَؤه ، وأساس الفكرة ، وأساس البحث ، أي أصلها .

ويقال فلان أساس أَمرِه الكذب ، ومن الأمثال ، ليس للباطل أساس [1] .

أي ليس له أساس في المجتمع الإنساني الفاضل .

ويقال : إن الأَخلاق أساس الوجود البشري ، وفي العبارة حذف ، والتقدير إن الأخلاق الحميدة هي أساس الوجود البشري الصالح ، فلا وجودٌ صالحٌ إلاَّ بأخلاق حسنة .

وإذا كانت الأخلاق الفاضلة أساس المجتمع الفاضل - فإن الأخلاق

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٤) ، لسان العرب لابن منظور (٦/ ٦) ، المعجم الوسيط مادة : (أسس) .

الفاضلة لا بد أن تقوم على أسس صالحة تحقق لها تلك الصفة .

وهناك أساسان للأخلاق في الإسلام هما : **العقيدة والعبادات** .

١- العقيدة :

العقيدة : الحُكم الذي لا يقبل الشَّك فيه لدى معتقده .

والعقيدة في الدين : ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله ، وإرسال الرُّسل ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر ، واقتران الأخلاق بالعقيدة أساس وجودها وصلاحها .

يقول الأستاذ محمد قطب (١) : إن هناك اقترانًا واضحًا بين العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة وبين العقيدة المنحرفة والأخلاق المرذولة ..

وتتوالى السور القرآنية في توضيح الصلة بين العقيدة والأخلاق .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [سورة المؤمنون : ١ - ١١] .

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ

(١) لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ص (٥٣) .

أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الفرقان : ٦٣ - ٧٦] .

ولا يمكن بأي حال أو وجه فصل العقيدة عن الأخلاق ، بل إن الاتصال وثيق بين الأخلاقيات والعقيدة الإسلامية ، والأخلاقيات ، أو الأخلاق عندما تطلق مطلقة غير مقيدة ، فهي الأخلاق الإنسانية الكاملة ، وأخلاقية الإسلام ، وإسلامية الأخلاق عنوان لمكارم الأخلاق التي تضمنتها عقيدة الإسلام .

يقول محمد قطب : « يلفت النظر في " المقتضى الأخلاقي " للإله إلا الله أنه يجعل الأخلاق أولاً وقبل كل شيء ميثاقًا مع الله :

﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الرعد : ١٩ - ٢٢] .

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ..... ﴾ [سورة المائدة : ٧] .

هذا هو الميثاق .. ﴿ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ وهو ميثاق لا إله إلا الله ، التي تعني - فيما تعني - الالتزام بما جاء من عند الله » .

إن الأخلاق لابد لها من " مصدر إلزام " ، فهي كلها ضوابط على شهوات النفوس .. وقد خلق الله هذه الشهوات لحكمة ، وعمقها في نفوس الناس :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... ﴾ [سورة آل عمران : ١٤] .

إنها - من جهة - دوافع تدفع الإنسان إلى الحركة والنشاط والسعي في الأرض ، فتتحقق عمارة الأرض ، التي هي جزء من مهمة الخلافة ، وجزء من مهمة الإنسان في الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] .

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [سورة هود : ٦١] .

وهي - من جهة أخرى - محل الابتلاء الذي خلق الإنسان من أجله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [سورة الكهف : ٧] .

ومع ضرورتها للإنسان في حركته لتعمير الأرض ، ولزومها للابتلاء الذي قدره الله للإنسان ، فإن الله يعلم أن الانجراف معها بلا ضوابط ، عمليةٌ مدمرة لكيان الإنسان ، تهبط به إلى مكانة أضل من الحيوان ، وتبدد حياته سدى .. فلا بد

لها من ضوابط . والضوابط هي الأخلاق (١) .

ومعنى أن الأخلاق هي ضوابط الوجود الإنساني ، أو الحضارة الإنسانية ، أن المجتمع لكي يتحقق له المستوى الإنساني يلزمه الاستمساك بالأخلاق ، وقد عبر أحمد شوقي عن ذلك بقوله :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد كانت الأخلاق الإسلامية أهم إطار سلوكي يرتقي بالإنسانية من الضلال والسفه والانحلال إلى الهدى والرشاد والالتزام .

والإيمان بالله هو الضمان لإنسانية الإنسان وحريته وكرامته .

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه : " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " عن هذا الإيمان :

« انحلت العقدة الكبرى - عقدة الشرك والكفر - فانحلت العقد كلها ؛ وجاهدهم الرسول جهاده الأول ، فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي ؛ وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى ، فكان النصر حليفه في كل معركة ؛ وقد دخلوا في السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة ، لا يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ، ولا يجدون في أنفسهم حرجًا مما قضى ، ولا يكون لهم الخيرة من بعد ما أمر أو نهي » (٢) .

« حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم - بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم - وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم ، وأصبحوا في الدنيا رجال

---

(١) لا إله إلا الله (٨٠ - ٨٢) .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص (٧٣) .

الآخر ، وفي اليوم رجال الغد ، لا يجزعهم مصيبة ، ولا تبطرهم نعمة ، ولا يشغلهم فقر ، ولا يطغيهم غنى ، ولا تلهيهم تجارة ، ولا تستخفهم قوة ، ولا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا ، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم ، قوامين بالقسط شهداء لله على أنفسهم أو الوالدين والأقربين .. وطأ لهم أكناف الأرض ، وأصبحوا عصمة للبشرية ، ووقاية للعالم ، وداعية إلى دين الله ... » (١) .

ويقول عن تأثير الإيمان الصحيح في الأخلاق والميول : « كان الناس عربًا وعجمًا يعيشون حياة جاهلية ، يسجدون فيها لكل ما خلق لأجلهم ، ويخضع لإرادتهم وتصرفهم ، لا يثيب الطائع بجائزة ، ولا يعذب العاصي بعقوبة ، ولا يأمر ولا ينهي ؛ فكانت الديانة سطحية طافية في حياتهم ، ليس لها سلطان على أرواحهم ونفوسهم وقلوبهم ، ولا تأثير لها في أخلاقهم واجتماعهم كانوا يؤمنون بالله كصانع أتم عمله ، واعتزل وتنازل عن مملكته لأناس خلع عليهم خلعة الربوبية ؛ فأخذوا بأيديهم أزمة الأمر ، وتولوا إدارة المملكة وتدبير شؤونها وتوزيع أرزاقها ، إلى غير ذلك من مصالح الحكومة المنظمة . فكان إيمانهم بالله لا يزيد على معرفة تاريخية ، وكان إيمانهم بالله ، وإحالتهم خلق السماوات والأرض إلى الله لا يختلف عن جواب تلميذ من تلاميذ فن التاريخ ، يقال له : من بنى هذا القصر العتيق ؟ فيسمي ملكًا من الملوك الأقدمين من غير أن يخافه ويخضع له ؛ فكان دينهم عاريًا عن الخشوع لله ودعائه ، وما كانوا يعرفون عن الله ما يحببه إليهم ، فكانت معرفتهم مبهمة غامضة ، قاصرة مجملة ، لا تبعث في نفوسهم هيبة ولا محبة...

---

(١) المرجع نفسه ص (٧٤) .

« ... انتقل العرب والذين أسلموا من هذه المعرفة العلية الغامضة الميتة إلى معرفة عميقة واضحة روحية ذات سلطان على الروح والنفس والقلب والجوارح ، ذات تأثير في الأخلاق والاجتماع ، ذات سيطرة على الحياة وما يتصل بها ، آمنوا بالله الذي له الأسماء الحسنى والمثل الأعلى ، آمنوا برب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، العزيز ، الحكيم ، الغفور ، الودود ، الرءوف ، الرحيم ، له الخلق والأمر ، بيده ملكوت كل شيء ، يجير ولا يجار عليه .. إلى آخر ما جاء في القرآن من وصفه . يثيب بالجنة ويعذب بالنار ، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، يعلم الخبء في السماوات والأرض ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . إلى آخر ما جاء في القرآن من قدرته وتصرفه وعلمه . فانقلبت نفسيتهم بهذا الإيمان الواسع العميق الواضح انقلابًا عجيبًا . فإذا آمن أحد بالله وشهد أن لا إله إلا الله انقلبت حياته ظهرًا لبطن ، تغلغل الإيمان في أحشائه ، وتسرب إلى جميع عروقه ومشاعره ، وجرى منه مجرى الروح والدم ، واقتلع جراثيم الجاهلية وجذورها ، وغمر العقل والقلب بفيضانه ، وجعل منه رجلاً غير الرجل ، وظهر منه من روائع الإيمان واليقين والصبر والشجاعة ، ومن خوارق الأفعال والأخلاق ما حير العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق ، ولا يزال موضع حيرة ودهشة منه إلى الأبد ، وعجز العلم عن تعليله بشيء غير الإيمان الكامل العميق » (١) .

« وكان هذا الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية ، من صرامة إرادة ، وقوة نفس ، ومحاسبتها والإنصاف منها ، وكان أول

---

(١) المصدر نفسه ص (٧٥) .

وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية ؛ حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان ، وسقط الإنسان سقطة وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ، ولا تتناوله يد القانون ، تحول هذا الإيمان نفسًا لوامة عنيفة ، ووخزًا لاذعًا للضمير ، وخيالاً مروعًا ، لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون ، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة ، ويتحملها مطمئنًا مرتاحًا ، تفاديًا من سخط الله وعقوبة الآخرة » (١) .

.. وكان هذا الإيمان حارسًا لأمانة الإنسان وعفافه وكرامته ، يملك نفسه النّزع أمام المطامع والشهوات الجارفة ؛ وفي الخلوة والوحدة حيث لا يراه أحد ، وفي سلطانه ونفوذه حيث لا يخاف أحدًا . وقد وقع في تاريخ الفتح الإسلامي من قضايا العفاف عند المغنم ، وأداء الأمانات إلى أهلها ، والإخلاص لله ، ما يعجز التاريخ البشري عن نظائره ، وما ذاك إلا نتيجة رسوخ الإيمان ، ومراقبة الله واستحضار علمه في كل مكان وزمان (٢) .

« وكانوا قبل هذا الإيمان في فوضى من الأفعال والأخلاق والسلوك ، والأخذ والترك ، والسياسة والاجتماع ، لا يخضعون لسلطان ، ولا يقرون بنظام ، ولا ينخرطون في سلك ، يسيرون على الأهواء ، ويركبون العمياء ، والسلطان ، والأمر والنهي ، ولأنفسهم بالرعوية والعبودية والطاعة المطلقة ، وأعطوا من أنفسكم المقادة ، واستسلموا للحكم الإلهي استسلامًا كاملاً ، ووضعوا أوزارهم ، وتنازلوا عن أهوائهم وأنانيتهم ، وأصبحوا عبيدًا لا يملكون مالاً ولا نفسًا ولا

---

(١) المصدر نفسه ص (٧٦) .

(٢) المصدر نفسه ص (٧٧) .

تصرفًا في الحياة إلا ما يرضاه الله ويسمح به ، ولا يحاربون ولا يصالحون إلا بإذن الله ، ولا يرضون ولا يسخطون ، ولا يعطون ولا يمنعون ، ولا يَصِلُون ولا يقطعون إلا بإذنه ووفق أمره » (١) .

إن اهتمام القرآن الكريم بالجانب الأخلاقي يبدو واضحًا حتى يكاد الباحث يحس بطغيان هذا الجانب على غيره ، فقد اهتم القرآن الكريم به اهتمامًا عظيمًا ، حيث قدمه على الجانب التعبدي في أكثر من موضع ؛ دلالة على أهميته ، فعندما وصف ﷻ عباده الخُلص عباد الرحمن بدأ بصفات خلقية يمتدحهم بها ، وهي التواضع والحلم ، والقول الحسن ، ثم عقب على هذه الصفات بصفة تعبدية عظيمة وهي صلاة الليل ، قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة الفرقان : ٦٣ - ٦٤] .

هؤلاء العباد الذين اصطفاهم الله ورضي عنهم وشرفهم بنسبتهم إليه ، ووعدهم بالدرجات العلى في الجنة ، بدأ يحيلهم ويصفهم وصفًا أخلاقيًا سلوكيًا ، مزكيًا أدبهم الجم ، وهذا يدل على مكانة الأخلاق ومنزلتها العالية عند الله .

ويقول ابن كثير : هذه صفات عباد الله المؤمنين الذين يمشون على الأرض هونًا .. أي بسكينة ووقار ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [سورة الإسراء : ٣٧] ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٣] ، أي إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله ، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرًا ، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣١٦١ ، ٣١٦٤) .

حلمًا (١) .

٢- العبادات :

ويقول الأستاذ محمد قطب : العبادات في الإسلام - كلها أمر مقصود للدنيا والآخرة معًا في المنهج الرباني .. سواء أكانت شعائر تعبدية أم نشاطًا حيويًا يقوم به الإنسان .

ليست هناك عبادة للآخرة وحدها كما يسبق أحيانًا إلى ظن بعض الناس . فقد نزل هذا الدين لإصلاح أمر الناس في الحياة الدنيا ، سواء عقيدته وشريعته .. سواء عباداته ومعاملاته ... وكل شيء فيه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة الحديد : ٢٥] .

ولذلك ترتبط الدنيا بالآخرة في هذا الدين في كل جزئية من جزئياته ، ويعيش الناس في ظله بجوارح عاملة في الحياة الدنيا وقلوب متعلقة بالآخرة ..

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت ٤٥] .

تنهى عن الفحشاء في الدنيا وبها يكون الأجر في الآخرة ، فيصلي المؤمن ابتغاء وجه الله ، ولينال أجره في الآخرة ، وفي الوقت ذاته ينتهي عن الفحشاء والمنكر ، فتصلح الحياة الدنيا ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٣] .

تتقون في الدنيا ، فتصلح حياتكم في الأرض .. وتنالون الأجر في الآخرة .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٩) ، وأخلاقنا في الميزان ص (٢٥) .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [سورة التوبة : ١٠٣] .

﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [سورة المعارج : ٢٤ - ٢٥] .

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [سورة التوبة : ٦٠] .

فالتطهير والتزكية ومواساة الغني للفقير من مال الله الذي آتاه ، وقيام ولي الأمر بأخذ الزكاة وإنفاقها في أبوابها التي حددها الله .. كل هذا يتم في الدنيا .. والأجر في الآخرة .

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الحج : ٢٧ -٢٨] .

يتم هذا كله في الدنيا ، والأجر في الآخرة ، فتكون العبادة للدنيا والآخرة في آن .

ومن الجانب الآخر ليس هناك عمل في حياة المسلم الملتزم بلا إله إلا الله - بكل مقتضياتها - يكون للدنيا وحدها منقطعًا عن الآخرة ... حتى علاقة الجنس التي قد ينظر بعض الناس إليها على أنها جسدية بحتة ، أرضية بحتة ، يقول فيها رسول الله ﷺ : « **وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر** » (١) .

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٦٩٨) ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

فتصبح من ثمَّ أمرًا دنيويًا وأخرويًا في ذات الوقت ...

وهكذا يشمل المقتضى التعبدي للإله إلا الله كل نشاط الحياة ، ويصبح الإنسان عابدًا لله في كل لحظة ، سواء كان قائمًا بشعيرة من الشعائر ، أو ذاكرًا لله في سره أو جهره ، أو مستغرقًا في عمل يقوم به ابتغاء وجه الله ، أو وقى نفسه عن شهوة من شهواتها أو هاجس شرٍّ ألم بها ، حياء من الله وابتغاء مرضاته .. ويصبح عندئذ من الذين قال الله فيهم :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١) [سورة فصلت : ٣٠ - ٣٢] .

إن الشعائر والعبادات يجب أن تؤدى وفق ما أمر الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ .

وعندما يؤدي المسلم الصلاة وفق الهيئات والشروط التي اشترطها الشارع فله أجره عند الله تعالى . ولكن هذه العبادات لا بد أن تؤثر في نفس العبد وفي أفعاله وسلوكه ، فيفعل المعروف ويأمر به ، وينتهي عن المنكر وينهى عنه ، أي أن ثمرة العبادات هي الغاية الكبرى مع طاعة الله والإقرار بالعبودية له .

(١) لا إله إلاَّ الله ص (٦٢ ، ٦٤) .

ثانيًا : خصائص الأخلاق في الإسلام

إذا تأملنا الأَخلاق في الإسلام ، أو القيم الخلقية في الإسلام ، نجد أنها تتميز بالخصائص الآتية :

١- قرآنية الأخلاق :

سُئِلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول ﷺ فقالت : « **كان خلقه القرآن** » (١) .

ووصف الله تعالى رسوله ﷺ بقوله : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [سورة القلم : ٤] .

قال الإمام الطبري : يقول الله تعالى : وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به ، وهو الإسلام وشرائعه (٢) .

يقول الرسول ﷺ : « **اتَّقِ الله حيثما كنت ، وأتبع السيِّئةَ الحسنةَ تَمْحُها ، وخالق الناس بخُلق حسن** » (٣) ، والأخلاق الحسنة هي الأخلاق التي نَصَّ عليها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

فالأخلاق الإسلامية أخلاق قرآنية صادره من لدن عزيز حكيم ، أمر بها الله عباده ، ولهذا فهي أخلاق مطلقة ، ليس الوجود الإنساني شرطًا لوجودها ، ولكنه شرط لتحققها على المستوى الإنساني ، فالصدق والحق والعدل ، والكرم ، والعزة ،

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥١٣) كتاب صلاة المسافر وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٩/ ١٨) .

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٣٥٥) ح (١٩٨٧) .

والحلم ، والصبر ، قيم أخلاقية ، لها وجودها المطلق الذي تعلو على الوجود الإنساني ، ولكن وجودها الإنساني ، أو مستواها الإنساني يتحقق من خلال تخلق الناس بها .

والأخلاق في الإسلام ليست ناتجة عن الصدفة أو التجربة والخطأ والهوى ، بمعنى أنها أفعال غير معلومة يقوم بها الفرد صدفة فيجد لها أثرًا حسنًا فيكررها وتصبح عنده عادة ، لكنها نظام من القيم التي شرعها الله وأَمَر بها ، ولا شك أن تكرار تلك الأعمال ، وما يتبعه من شعور بالرضا والسعادة يرسخ في نفس الإنسان حُبَّها ، والحرص عليها .

يقول تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [سورة الشورى : ١٣] .

وقال : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ﴾ [سورة الشورى : ١٥] .

فالأمر بالاستقامة ، والنهي عن اتباع أهواء المشركين هو الأساس في البناء الخلقي الربَّاني .

يقول تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٠] .

هذه الآية تتضمن أربعة محاور :

الأول : الأَمر بما هو حسن من قيم خلقية فاضلة .

الثاني : النهي عن الأَخلاق الفاحشة المنكرة .

الثالث : الوعظ وهو طريق تعليم الفضائل وقبولها .

الرابع : الغاية من الأمر والنهي والوعظ وهو التذكر والامتثال لأوامر الله ونواهيه .

والوعظ : التذكير بالخير فيما يرق له القلب . ووعظ الله الناس هو خير وعظ يتلقونه .

يقول تعالى : ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٨] .

والناس جميعًا إمَّا أن يتبعوا ما أمرهم الله وينتهوا عمَّا نهاهم عنه أو يتبعوا أهواءَهم ، وقوله تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة : ١٦] .

ويقول تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴾ [سورة محمد : ١٤] .

يقول تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] .

وكان الرسول ﷺ المثل الأعلى لمكارم الأخلاق ، فقد كان من حرصه ﷺ على مكارم الأخلاق دعاؤه وطلبه وابتهاله لربه قائلاً : « **وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ، واهدني لأحسن**

الأخلاقُ لا يهدي لأحسنها إلا أنت » (١) .

وكان يستعيذ بالله من منكرات الأخلاق فيقول : « **اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء** » (٢) .

وهكذا ، كان ﷺ مبعوثًا ليتمم مكارم الأخلاق ، ومعلمًا لمكارم الأخلاق ، فكان القدوة الحسنى ، والأسوة العظمى ، اجتمع فيه ما تفرق في غيره من مكارم الأخلاق ، فكان مجمع العظمات الأخلاقية ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [سورة القلم : ٤] .. فكل أقواله وأعماله وتوجيهاته وإرشاداته وسيرته للأخلاق وبالأخلاق (٣) .

لقد أكدت السنة النبوية على أهمية الأخلاق ومكانتها في الشريعة الإسلامية حيث جعلت الأخلاق دليلاً على كمال الإيمان ، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال : « **من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله** » (٤) فالمؤمن لا يكتمل إيمانه إلا إذا اكتملت أخلاقه وحسنت سيرته ، وبذلك يستحق صفة الخيرية فيصبح من خيار المؤمنين . قال رسول الله ﷺ : « **خياركم أحاسنكم أخلاقًا ، ولم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا** » (٥) . ومن الأحاديث التي وردت في حسن الخلق قول النبي ﷺ : « **إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا ، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون** (٦) ،

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٤٨٥) ح (٣٤٢١) .

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٥٧٥) ح (٣٥٩١) .

(٣) أخلاقنا في الميزان ص (٢٤ ، ٢٥) .

(٤) المستدرك للحاكم (١/ ٥٣) .

(٥) سنن الترمذي (٤/ ٣٤٩) ح (١٩٧٥) .

(٦) **الثرثارون** : هو كثير الكلام تكلفًا ، وخروجًا عن الحق . (غريب الحديث لابن =

والمتشدقون (١) ، والمتفيقهون (٢) » (٣) .

هذه الأحاديث تدل على أن مكارم الأخلاق هي الجالبة لمحبة الله ولمحبة الرسول ﷺ وهي الموجبة للقرب منه يوم القيامة ، وهل هناك مكانة ومرتبة أعلى من أن يكون المرء مع رسول الله ﷺ ، في أعلى عليين . وهذا يكشف سر تمسك الصحابة رضوان الله عليهم بالأخلاق ؛ رغبة منهم في الحصول على هذه المرتبة الرفيعة العالية يوم القيامة ، فكانوا بذلك نجوم الهدى يقتدى بهم رضوان الله عليهم أجمعين .

إن الحوافز الكثيرة التي وضعها الرسول ﷺ للملتزمين بآداب الإسلام المنضبطين سلوكيًا ، وأخلاقيًا ، كلها تؤكد أن الأخلاق من أفضل الطاعات والقربات . فحسن الخلق سبب في رفع درجات العبد المؤمن يوم القيامة ، قال عليه الصلاة والسلام : « **إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم** » (٤) .

وبمكارم الأخلاق يضمن المؤمن بيتًا في أعلى الجنة . قال عليه الصلاة والسلام : « **أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقًا ، وببيت في**

= الجوزي ١/ ١٢٠) .

(١) **المتشدق** : المتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه . (غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ٥٢٣) .

(٢) **المتفيهق** : أصله من الفهق ، وهو الامتلاء ، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ، ويتوسع فيه ، ويغرب به تكبرًا وارتفاعًا ، وإظهارًا للفضيلة على غيره . (غريب الحديث لأبي إسحاق الحربي ٢/ ٧٣٨) .

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٣٧٠) ح (٢٠١٨) .

(٤) سنن أبي داود (٥/ ١٤٩) ح (٤٧٩٨) .

وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » (١) . فيضمن صاحب الخلق العظيم ﷺ لصاحب الخلق الحميد بيتًا في أعلى الجنة . بل يجعل الرسول ﷺ حسن الخلق جماع الخير ، فقد جاء في الحديث عن النواس بن سمعان ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : « **البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس** » (٢) . فالبر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة ، وبمعنى الطاعة .. وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق .

ولأهمية حسن الخلق جاء أمر الرسول ﷺ صريحًا بالتزامه قال معاذ بن جبل ﷺ : آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز : « **أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل** » (٣) .

إن توجيهات الرسول ﷺ أخذت مدى أبعد من ذلك ، فاشترط في الزوج الصالح الخلق الحسن ، فقال : « **إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ، قالوا : يا رسول الله وإن كان فيه ، قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات** » (٤) .

٢- إنسانيتها وعمومها الجنس البشري كله :

أي أنها أخلاق عامة لا يختص بها جنس أو جيل أو عصر ، أو طائفة : يقول

---

(١) سنن أبي داود (٥/ ١٥٠) ح (٤٨٠٠) .

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب (٣/ ١٩٨٠) .

(٣) الموطأ لمالك (٢/ ٩٠٢) .

(٤) سنن ابن ماجه (١/ ٦٣٢) ، وسنن الترمذي (٣/ ٣٩٤) ح (١٠٨٤) .

تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سورة سبأ : ٢٨].

ويقول تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة : ١٤٣] .

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ [سورة النساء : ١٧٤] .

والقيم الإسلامية تتحقق في المجتمع الإنساني بعامة عند العرب والفرس والروم وكل الأجناس والطوائف والأعمار ، لا فرق بين رجلٍ وامرأة ، وعربي وأعجمي ، ولا صغير ولا كبير ، ولا حاكم ولا محكوم ، ولا غني ولا فقير ، ولا ضعيف ولا قوي ، فالنَّاس سواسية ، في الأعمال والأفعال والأخلاق أكرمهم عند الله أتقاهم ، ولا فضل لعربي على عجمي ، ولا عجمي على عربي إلاَّ بالتقوى ، ويكون تحققها وفق مستويات ثلاثة :

المستوى الأول : الوعي بالقيم الخلقية وعيًا نظريًا وعلميًّا .

المستوى الثاني : وجود نماذج بشرية تسلك سلوكًا خلقيًا فاضلاً ، أو القدوة الحسنة .

المستوى الثالث : العمل بما تعلمه الفرد ، والاقتداء بمن رآهم وتعامل معهم من القدوة الحسنة من الناس .

فالوعي والقدوة قد يتبعها العمل ، والاقتداء والوعي ينتظمه إطار من القيم الصحيحة ، والقدوة الحسنة هي نماذج إنسانية تطرد بالأطر الأخلاقية الإسلامية ،

وقد يتبع ذلك سلوكًا فاضلاً ، أو تعديلاً في السلوك المعوج ، وهذا أمر غاية في الأهمية ، وإصلاح المعوج والإصلاح بين الناس أمر تستوجبه الشريعة ، فالرسول الذي يرسله الله إلى قوم فاسدين يسعى إلى الإصلاح كما أمره الله .

يقول تعالى : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة النساء : ١١٤] .

ويقول تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة الأنعام : ٩٠] .

٣- شمولية الأخلاق الإسلامية كل مناحي الحياة :

من خصائص الأخلاق الإسلامية شموليتها وأحاطتها بكل مناحي الحياة ومواقفها .

هذا بدءًا من قوله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٨].

إن منظومة الأخلاق الإسلامية تستوجب معجمًا مُنفصلاً عن تلك الأخلاق الفاضلة ، وعلاقة كل خلق بغيره ، وعلاقته بالفرد والمجتمع والناس كافة ، والوجود كله ...

فالأخلاق تبدأ من علاقة المسلم بربه ، وعلاقته بأسرته وأمته وغيره من الأمم ، وعلاقة أمته بغيرها من الأمم ، وعلاقة الرجل بزوجته وأبنائه وأرحامه ، وجيرانه ، وبني وطنه ، وبالكائنات جميعها ، وبالأرض والبحار والأنهار والنبات والحيوان والنجوم والكواكب ، وبالحياة والموت والسلم والحرب .

إن الأخلاق تنتظم الناس جميعًا في كل موقف من مواقف حياتهم ، في الفقر

والغنى ، والشباب والمشيب ، والصحة والمرض ، والسعة والضيق ، والرضا والغضب وفي كل معاملاتهم اليومية من عمل وبيع وشراء وبناء وسفر وتعلم ، وفي المواقف التي تواجههم من أحبابهم وأعدائهم ، ومن الأوفياء والحاقدين الحاسدين ، ومن مواقف الغواية والجهل والطيش إلى مواقف الاستفهام والتعقل . كل هذا سنفصله لاحقًا .

٤- اتصال الأخلاق بعضها ببعض وترابطها وتفاعلها :

وهو ما يمكن أن نطلق عليها منظوميتها ، أي : دخولها في منظومة تتواصل فيها كل الأَخلاق بحيث تصبح كلها متصلة ببعضها اتصالاً نوعيًا أو كميًّا ، أو كيفيًّا .

فالكرم ، ينتظم حب الخير للناس ، والإيثار ، والتضحية ، والإخلاص ، والعفَّة ، والصَّدق ، والحياء ، والحلم ، والصبر ، والقناعة ، والصلاح ، والمودة والإحسان ، والإخاء والوفاء .

وكل هذه الأَخلاق بينها جامع يجمعها هو الإحسان وحب الخير المروءة ، أي شعور الإنسان بأخيه الإنسان شعورًا عميقًا .

وتنبني منظومية الأخلاق كما بيناها عَلَى أساس أَن الله واحِدٌ لا شريك له ، وأن الناس جميعًا أبناء آدم وحواء ، وأن الله أَمَرَنَا بكل خير وأرشدنا إلى الخيرات ، ونهانا عن كل شر ، وعَرَّفَنا بِها حَتَّى نتجَنَّبها .

يقول الرسول ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه** » (١) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١/ ٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان =

وينتظم الحب كل ما يزين المرء من علم وفقه ، وعقل وإيمان ، وصلاح ، وغنى ، وعفاف ، وارتقاء واعتراف بحق الناس جميعًا في الوجود العميق الكريم ، والمشاركة الصحيحة في الحياة الاجتماعية .

= أن يحب لأخيه المسلم (١/ ٦٧) .

الفصل الثالث

تَعَلُّم الأخلاق في ضوء تعاليم الإسلام ومناهج التربية

التعلم والتربية :

تقوم التربية الخلقية على أساس التَّعلم ، سواء أكان التعلم مخطَّطا له ومقصودًا أم كان عَارِضًا ، ويعرف آرثر جيتس وآخرون التعلم بأنه : « تعديل السلوك عن طريق الخبرة والمران » ، كما يعرفه في موضع أخر بأنه : « تغير في السلوك له صفة الاستمرار ، وصفة بذل الجهد المتكرر حتى يصل الفرد إلى استجابة ترضي دوافعه وتحقق غاياته » وتأخذ هذه العملية أسلوب حل المشكلات للتغلب على صعوبات الموقف ومواجهة ظروف جديدة . ومن هنا يصبح التعلم عملية توافق مع المواقف الجديدة . وهذا يتفق مع تعريف رمزية الغريب للتعلم بأنه : « تعديل في السلوك يساعد المتعلم على حل المشكلات التي تصادفه ، وتحقيق مزيد من التكيف مع بيئته » .

ويعرفه رجاء أبو علام ١٩٧٨م بأنه : « تعديل في السلوك ، أو تغير في الأداء نتيجة الخبرة والتدريب » .

ويعرف عزيز حنا ١٩٨٥م التعلم بأنه تغير في الأداء أو سلوك الفرد ، يحدث تحت شروط التكرار والممارسة لإشباع حالة دفع لدى الفرد . كما يعرفه سيد عثمان وأنور الشرقاوي ١٩٧٧م بأنه : « عملية تغير شبه دائم في سلوك الفرد ينشأ نتيجة الممارسة ، ويظهر في تغير الأداء لدى الكائن الحي . ويعرف ماك جيتس التعلم بأنه « تغير في الأداء ينجم عن عملية التدريب » (١) .

---

(١) سيكولوجية التعلم ص (٢١ ، ٢٢) .

ويقصد بالتعلم نقل المعرفة من المعلم إلى المتعلم باعتبارها وسيلة للتربية . وتكمن عملية التعليم في تفاعل المدرس والطالب مع موضوعات التعليم بهدف إحداث التغيير المرغوب في سلوكه .

ويُمثّل التعليم في الإسلام المحور الأساس للعملية التربوية التي تعني بإعداد الإنسان الصالح المصلح وفق سياسة تعليميّة تستند في جميع عناصرها إلى معطيات المنهج الرباني الذي يعد وحي الله . ولا يُنظر إلى التربية الإسلامية من خلال مؤسسات التعليم التي ظهرت في الإسلام ، أو من خلال مناهج التعليم ، وطرق تدريسه فحسب ، بل يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار انعكاسات جميع التفاعلات التربوية للمجتمع المسلم في واقع الحياة .

ويبدو لبعض الباحثين أنّه لا فرق في المفهوم الاصطلاحي بين مصطلح " التربية " وبين مصطلح " التعليم " ، ويرى آخرون أنّ التربية أعمّ وأشمل من التعليم ، وقيل عكس ذلك . ويرجح بعض الباحثين أنّ التربية أعمّ من التعليم ، وصلة التعليم بالتربية هي صلة الخاص بالعام فالتعليم قد يختصّ بجانب واحد من جوانب الإنسان ، وهو العقل ، لذا يُعدّ جزءًا من التربية وعملية التعليم تكمن في تفاعل المدرس والطالب مع موضوعات التعليم بهدف إحداث التغيير المرغوب في سلوكه وتحصيله . وقد يُقصد من التعليم نقل المعرفة من المعلّم إلى المتعلم باعتبارها وسيلة للتربية [١] .

ويرى بعض الباحثين أن المعلم هو حجر الزاوية في العملية التربوية [٢] أي

---

(١) أهداف وخصائص التعليم الإسلامي ص (١٢، ١٤) .

(٢) الكفايات التعليمية في ضوء النظم ، د . توفيق مرعي ص (١٩) .

محورها .

ونرى أن محور العملية التعليمية هو المتعلم نفسه ، وأن دور المعلم هو مساعدة المتعلمين على اكتساب الخبرات والمهارات والاتجاهات ، وليس إكسابهم الخبرات والمهارات والاتجاهات ، بحيث يكون دوره أقرب إلى التلقين ، وتكون مهمة المتعلمين هي التلقي ، وهذا يناقض المفهوم الحديث للتعليم الفعال ، أي التعليم عن طريق المشاركة بين المعلم والمتعلم .

« إن مفهوم التربية الأخلاقية العام في نظر الإسلام هو تنشئة الطفل وتكوينه إنسانًا متكاملاً . بحيث يصبح في حياته مفتاحًا للخير ومغلاقًا للشر في كل الظروف والأحوال ، هذا هو المفهوم العام للتربية الأخلاقية .

أما مفهوم التربية الخاص فيتمثّل في التالي :

١- تطهير النفس من جميع الرذائل الأخلاقية وقد حثت النصوص على ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣] ، وقوله : ﴿ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٦] .

٢- غرس الفضائل في النفوس عن طريق التعليم :

وقد بعث الله رسوله ﷺ لأجل هذا المعنى فقال تعالى : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٥١] .

يقول الفخر الرازي عن سبب جمع الله تعالى بين التعليم والتزكية في هذه الآية : « اعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين : أحدهما أن يعرف الحق لذاته ،

والثاني أن يعرف الخير لأجل العمل به ، فإن أخل بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهرًا من الرذائل ولم يكن زكيًا عنها » (١) .

وقد دعا الإسلام إلى تعليم الخير وتعلمه ؛ لأنه وسيلة غرس الفضائل في النفوس فقال عليه الصلاة والسلام : « **فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير** » (٢) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **من دل على خير فله مثل أجر فاعله** » (٣) .

٣- تكوين استعداد للالتزام بالأخلاق في كل مكان وزمان وذلك باستخدام جميع الأسس والطرق والوسائل والأساليب التي تساعد على تحقيق ذلك .

ويمكن أن نحقق هذا الاستعداد عن طريق تنشئة الطفل على المبادئ الأخلاقية منذ سنيه الأولى ، ولذلك نجد النبيّ ﷺ يعود الأطفال الذين نشأوا في بيته مثل الحسن والحسين وعمرو بن سلمة وأنس وابن عباس رضي الله عنهم على بعض المبادئ والآداب ، مثل آداب الأكل ، وأمرهم بالتعود على العبادات إذا بلغوا السن السابعة (٤) .

إعداد الفرد الصالح :

من أهم أهداف التربية الإسلامية إعداد الفرد ليكون أساس بناء المجتمع

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (٣/ ١٢٠) .

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٥٠) ح (٢٦٨٥) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله (٢/ ١٥٠٦) .

(٤) منهج الرسول في تربية أصحابه ص (٩٠ ، ٩١) .

الصالح .. ومن أهم غايات التعليم الإسلامي الرقي بالإنسان في إطار المنهج الإلهي ، ليكون صالحًا مصلحًا ، آمرًا بالمعروف معينًا على فعله ، ناهيًا عن المنكر داعيًا إلى تركه ، يسمو بإيمانه من ثقلة الأرض إلى سمو القيم الربانية ، ومما يساعد على الارتقاء في سلّم القيم والأخلاق إلى أرفع درجاتها ؛ ذلك التصور الدقيق لترجمة حقيقة الإسلام في واقع حياة المربي الأول رسول الله محمد ﷺ الأسوة الحسنة لنا في كلّ انطلاقة تربوية يبتغى من ورائها إعداد جيل مؤمن (١) .

ومن هنا فقد أسهم التعليم الإسلامي في صياغة الإنسان الصالح ، الذي يحمل في شخصيته وسريرته المثل العليا التي رَقَت بصاحبها فوق اعتبارات المصالح الذاتية ، والأنانية الفردية .

وأدرك الخلفاء قديمًا أثر التعليم في تكوين الشخصية الإسلامية الصالحة ، وأنّه الطريق الأمثل لتحقيق الذات المؤمنة في أرفع مستوياتها ، فأولوا تعليم أولادهم عناية خاصّة ، واختاروا لمهمة تنشئتهم وتربيتهم علماء أعلام ، ومؤدبين كبار ممّن توفرت فيهم الكفاءة والأمانة ، وزيادة الحرص . بل إنّ بعضهم كان يتابع مؤدب أولاده بنفسه ، فيرسم له منهج تعليمهم ، لتتضح الصورة ، ويكتمل البناء . قال الخليفة عبد الملك بن مروان (ت : ٨٦هـ) لمؤدب ولده : « علّم أولادي الصدق كما تعلمهم القرآن ، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، وجنّبهم السفلة فإنّهم أسوأ الناس رعة ، وأقلهم أدبًا ، وجنبهم الحشم فإنّهم لهم مفسدة ، وجالس بهم علية القوم يناطقونهم الكلام ، وأحف شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا ، ومرهم أن يستاكوا عرضًا ، ويمصّوا الماء مصًّا ، ولا يعبوا الماء عبًّا ،

---

(١) الشخصية ومبادئ علم النفس ص(١٧) .

وإذا احتجت أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في سرٍّ لا يعلم به أحد من الحاشية فيهونوا عليهم » (١) .

وللتعليم أثر بالغ في رِفْعَة شخصيّة المتعلم ، وسموّ منزلته ، وعلو شأنه . قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة : ١١] ، وقال النّبي ﷺ : « وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتّى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذه بحظ وافر » (٢) .

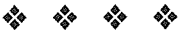

(١) أهداف وخصائص التعليم الإسلامي (٣٢ ، ٣٣) .

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٤٨) ح (٢٦٨٢) ، وانظر : أهداف وخصائص التعليم الإسلامي ص (٣٥ ، ٣٧) .

منهج التربية الخلقية في الإسلام

نقصد بالمنهج : الطريقة والأسلوب المتبع في تربية المسلمين تربية خلقية صحيحة ، وتعليمهم تعاليم الإسلام عقيدة وعبادة ومعاملات وشرائع ، قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [سورة المائدة : ٤٨] .

والمنهج الناجح هو المنهج القائم على التخطيط ، وتقوم بتنفيذه مؤسسة تربوية سواء أكانت مدرسة ، أم قناة تلفزيونية ، أم المنزل أم المسجد ، أم المراكز المتخصصة .

والمنهج وفق التربية الإسلامية نظام من الخبرات ، تقدمه المؤسسة التربوية للمتعلمين ، منها ما يتعلق بالمنزَّل من عند الله وأخرى تتعلق بالمكتسب بواسطة البشر ؛ لتساعدهم على اكتسابها تحت إشرافها . وذلك بهدف تحقيق نموهم نموًا شاملاً ومتكاملاً ومتوازنًا ، وتمكينهم من السلوك قولاً وعملاً وفق تعاليم الدين الحنيف .

المنهج الدراسي بهذا المعنى ينبغي أن ينطبق على جميع المؤسسات في المجتمع المسلم ؛ لأن جميع المؤسسات في هذا المجتمع مسئولة عن التربية الإسلامية ، فالمسجد ، ومؤسسات الإعلام ، والنوادي الثقافية والاجتماعية والرياضية ، ومؤسسات الصناعة والتجارة والزراعة والخدمات ، جميعها تتحمل مسئولية تربية منسوبيها تربية إسلامية عن طريق التزامهم بالسلوك الإسلامي ، وتخطيط برامجها وتنفيذها والإشراف عليها وتقويمها بمقتضى مدى إسهامها في تحقيق التربية الإسلامية في سلوك منسوبيها وفي غيرهم . وبذلك فإن المسئولين في كل مؤسسة مكلفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاستقامة على منهج الله ، بحيث

يكونون قدوة في السلوك الإسلامي .

وحين نطبق التعريف السابق للمنهج على المدرسة ، نجد :

١- أن مصادر المنهج تشتمل على جميع القيم والحقائق الثابتة المنزَّلة من عند الله تبارك وتعالى كما تشتمل على جميع الخبرات التي يكتسبها الإنسان من خلال كدحه في عمارة الأرض .

٢- أن المنهج لا يتعلق بطلاب المدرسة وحدهم ، وإنما يمتد إلى جميع منسوبي المدرسة من إدارة ومدرسين وموظفين وعمال . وهذا الشمول نابع من طبيعة الإسلام الذي ينظر إلى المجتمع من حيث كونه وحدة متكاملة ، ويجعل التربية الإسلامية ، ضرورة حيوية دائمة ومستمرة لكل فرد في هذا المجتمع ، ولذلك فإن المنهج الدراسي ينبغي أن يراعي متطلبات هذه التربية بالنسبة لجميع أعضاء المجتمع المدرسي وليس للطلاب فقط .

٣- أن التربية الإسلامية تؤكد على العمل بمقتضى المعرفة ، وبناء عليه فإن التطبيق هو الهدف من الخبرات المكتسبة في المنهج . فإذا شمل تطبيق التربية الإسلامية - بمفهومها المتكامل السابق ذكره - جميع أعضاء المجتمع المدرسي ، عمل جميع أعضاء هذا المجتمع بمقتضاها في تناسق وتكامل ، وساعد هذا على توافر القدوة فيه ، وهي من أهم ركائز التربية في المجتمع المسلم .

٤- أن المنهج الدراسي يهدف إلى تنمية منسوبي المدرسة تنمية شاملة لجميع جوانب النمو الاعتقادية والجسمية والعقلية والوجدانية والاجتماعية ، وإلى أن يسلك المتعلم في حياته العملية سواء في القول أو في العمل وفق منهج الله . وفي هذا توحد في التوجه في المجتمع المدرسي وحرصًا على التناسق بين فئاته وأعضائه ،

وتعميق التزام الجميع بتعاليم الإسلام .

٥- أن هذا المنهج يعد بواسطة خبراء في شئون تربية وتعليم منسوبي المدرسة وفي الوقوف على متطلبات التربية الإسلامية بالنسبة لهم ، وفي تنظيم هذه المتطلبات وفي أساليب تقديمها لمختلف فئات المجتمع المدرسي ، وفي تقويم مخرجات المنهج على وجه العموم ، وتطويره وتخطيطه على وجه الخصوص .

٦- أن ربط خبرات المنهج بالتربية الإسلامية يجعل الدين الإسلامي أساسًا لاختيار الخبرات وتنظيمها وتقديمها وتقويم مخرجاتها ، ويحقق التكامل بين جميع جوانب الخبرة .

٧- أن اكتساب خبرات المنهج الدراسي ينبغي أن يتم تحت إشراف المؤسسة التربوية ؛ وذلك لكي يتوافر الإرشاد الخبير والتوجيه الكفء اللذان يساعدان على تحقيق أهداف المنهج .

٨- أن أثر تطبيق المنهج يمتد إلى الحياة الآخرة ، ولا يقتصر على الحياة الدنيا فقط ، ويحقق هذا أنه يهدف إلى تحقيق سلوك المتعلم قولاً وعملاً وفق تعاليم الإسلام ، وهي شاملة للحياتين معا (١) .

أسس التربية الخلقية في الإسلام :

الأساس الذي يقوم عليه المنهج هو تحقيق المجال الصحيح لتنفيذ المحتوى العلمي للمنهج على أساس صحيح .

١- وأساس التربية الخلقية في الإسلام هو الدعوة بالحسنى إلى مكارم

---

(١) الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية ص (٣٢، ٣٥) .

الأخلاق ، وينحصر ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الناس شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد العلم بذلك .

يقول الإمام ابن تيمية :

« ولا يكون عمل من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر صالحًا إن لم يكن عمله بعلمٍ وفقْهٍ ، كما قال عمر بن عبد العزيز ﷺ : « **مَنْ عَبَدَ الله بغير علم : كان ما يفسد أكثر مما يصلح** » كما في حديث معاذ بن جبل ﷺ : « **العلم أمام العمل ، والعمل تابعه** » ، وهذا ظاهر ؛ فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلاً ، وضلالاً ، واتباعًا للهوى ، كما تقدم . وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية ، وأهل الإسلام . فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر ، والتميز بينهما . ولا بد من العمل بحال المأمور وحال المنهي » (١) .

ومن الصلاح : أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم . والصراط المستقيم : أقرب الطرق الموصل إلى حصول المقصود .

٢- ولا بد في ذلك من الرفق كما قال النبي ﷺ : « **إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه** » (٢) ، وقال ﷺ : « **إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنفِ** » (٣) .

٣- ولا بد أيضًا أن يكون حليمًا ، صبورًا على الأذى ، فإنه لا بد أن يحصل له أذى ، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، كما قال لقمان لابنه : ﴿ **وَأْمُرْ**

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص (٤٩) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق (٣/ ٢٠٠٣) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق (٣/ ٢٠٠٤) .

بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة لقمان : ١٧] .

ولهذا أمر الله الرسل - وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - بالصبر كقوله لخاتم الرسل ﷺ ، بل ذلك مقرون بتبليغ الرسالة . فإن أول ما أرسل أنزلت عليه سورة (يا أيها المدثر) بعد أن أنزلت عليه سورة (اقرأ) التي بها نُبِّئ (١) . فقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ [سورة المدثر: ١ - ٧] . افتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالنذارة . وختمها بالأمر بالصبر . ونفس الإنذار أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر . فعُلِم أنه يجب بعد ذلك الصبر . قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [سورة الطور : ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [سورة المزمل : ١٠] ، وقال : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [سورة الأحقاف : ٣٥] ، وقال : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ [سورة القلم : ٤٨] ، وقال : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [سورة النحل: ١٢٧] ، وقال : ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة هود: ١١٥] .

فلا بد من هذه الثلاثة : العلم ، والرفق ، والصبر . العلم قبل الأمر والنهي ، والرفق معه ، والصبر بعده .

---

(١) البيان في علوم القرآن للمؤلف ص (٦٤) .

وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحبًا في هذه الأحوال (١) .

طرق الترغيب في التربية الإسلامية وأساليبها :

لا شك أن التربية القائمة على الترغيب أكثر جدوى من تلك المقتصرة على الترهيب ، ولكن ذلك لا ينفي مبدأ الثواب والعقاب في التربية ، شرط أن يكون العقاب آخر الوسائل التي نلجأ إليها . ويقوم الترغيب في التربية الإسلامية على ما يأتي :

١- اتباع كتاب الله وسنه رسوله ﷺ :

إن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المرجعان الأساسيان في توضيح ما شرع الله لعباده في كل جوانب الحياة في العقيدة وفي العبادات والمعاملات وفي كل أمر من أمور الحياة الدنيا والآخرة .

٢- القدوة الحسنة :

تعتبر القدوة الحسنة من أهم عوامل التربية الإسلامية وأعمقها أثرًا ، فقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى أهمية القدوة الحسنة في التربية ، ونجد ذلك في مواطن كثيرة ، منها : قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة الأحزاب : ٢١] ، وقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٩٠] .

كما خاطب الله رسوله ﷺ والمؤمنون معًا بقوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [سورة الممتحنة : ٤] .

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص (٤٩) .

٣- طريقة القصة :

يحتل الأسلوب القصصي مكانًا بارزًا في التربية الإسلامية ؛ لكونه وسيلة أصيلة يعتمد عليها في بلوغ الأهداف ؛ إذ يبدو ذلك واضحًا في مواضع كثيرة من القرآن ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٢] .

وهناك مجموعة من الشروط التي ينبغي أن يراعيها ؛ لتتحقق له القدرة على ترغيب التلاميذ فيما يدرسون ، وهي على النحو التالي :

أ- تحديد فكرة القصة .

ب- تحديد مكونات القصة .

ج- مراعاة اللغة والأسلوب الذي يستخدم في سرد القصة .

د- الإعداد المسبق بما يساعد على سرد القصة بسهولة ولباقة ، وعرضها عرضًا واضحًا أمام التلاميذ .

هـ- تهيئة التلاميذ لاستماع القصة .

٤- أسلوب الموعظة :

يحظى أسلوب الموعظة بمكانة كبيرة في التربية الإسلامية ؛ لكونه من أهم وسائل التربية المؤثرة في تكوين الولد إيمانيًا وإعداده خلقيًا ونفسيًا واجتماعيًا ، لهذا نجد القرآن الكريم قد اتخذ الموعظة منهجًا لتربية الأفراد ، ويؤكد هذا ما دل عليه السياق القرآني في أكثر من موضع ، فمن ذلك : قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة لقمان : ١٣] .

٥- أسلوب تفريغ الطاقة :

إن المفهوم الواقعي للطبيعة الإنسانية يجد مصداقه في تعاليم الإسلام التي تؤلف بين البدن والروح في دعوة واحدة إلى الكمال ، والتي تمزج في نفس الممارسة البدنية بين نظافة البدن وطهارة النفس .

وفي ضوء هذا التصور الإسلامي للإنسان ، وما له من طاقة حرصت التربية الإسلامية على الأخذ بأسلوب إفراغ الطاقة ؛ لتوجه حاجاته إلى المفيد النافع .

وأمام هذه الأهمية الكامنة في أسلوب إفراغ الطاقة فإنه يجدر بنا أن نبين في هذا المجال تبعات ومسؤوليات معلم التربية الإسلامية عند الأخذ بهذا الأسلوب. وبيان ذلك على النحو التالي :

- الاهتمام بحاجات التلاميذ وميولهم ورغباتهم وجعلها أساسًا محددًا في تدريس موضوعات التربية الإسلامية .

- والاهتمام بأوجه النشاط المختلفة الصفية وغير الصفية ومساعدة التلاميذ على الاطلاع الخارجي في غير الكتب الدراسية .

٦- أسلوب الإقناع الفكري :

تتخذ التربية الإسلامية من الإقناع الفكري وسيلة لها لتحقيق أهدافها ، وترمي من وراء ذلك تقديم محتوى يقيني يسهل ترجمته إلى سلوك إجرائي من قبل التلاميذ ، وترمي أيضًا إلى تنمية التفكير الإسلامي ، وجعل التلاميذ قادرين على التبصر والتدبر في خلق الله ، والوصول إلى معرفة جيدة ، ويمكن تحقيق ذلك فيما يلي :

أ- أن يعمل معلم التربية الإسلامية على إيجاد المواقف والفرص الكثيرة ؛ ليتيسر للناشئ الإفصاح عن آرائه ، وأن يعوّد المعلم نفسه على حسن الاستماع

لآراء تلاميذه ، وأن يدع لهم فرصة عادلة للمناقشة والأخذ والرد .

ب- أن يعمل معلم التربية الإسلامية على تدريب تلاميذه على مهارات التفكير العلمي السليم ، وكيفية استخلاص المعلومات ، والملاحظة الدقيقة ، والتعليل وعقد الموازنات والربط وغير ذلك من المهارات .

وأن يكون قادرًا على إقامة الدلائل والأسانيد ؛ ليدعم بها أقواله ومحتويات درسه .

وأن يكون قادرًا على إكساب تلاميذه الاتجاه نحو المشاركة الإيجابية والتفاعل المثمر .

٧- الاهتمام بالممارسة والعمل :

مما تجدر الإشارة إليه أن العلم في نظر الإسلام لا خير فيه ولا أثر له إن لم يهدي إلى الحقيقة الأولى وهي معرفة الله تعالى .

وبناءً على ذلك فإنه يمكن أن نوضح فيما يلي بعض الأمور التي ينبغي الالتزام بها حين الممارسة العملية :

أن يمتلك معلم التربية الإسلامية كفايات ومهارات عالية .

وأن يكون معلم التربية الإسلامية خبيرًا بالبيئة المحلية .

ومساعدة التلاميذ وتشجيعهم لممارسة الشعائر الدينية في داخل المدرسة وخارجها .

وتبسيط الحقائق والمفاهيم الدينية للتلاميذ .

ومتابعة التلاميذ أثناء قيامهم بإقامة بعض الشعائر الدينية .

وأن يساعد معلم التربية الإسلامية تلاميذه لأن يدركوا بأنفسهم إدراكًا

واضحًا نتائج ممارستهم ، وأن يوضح التلاميذ نماذج من الممارسة الجيدة القوية للحقائق والمفاهيم .

٨- أسلوب العادة أو التعويد :

لما كانت العادة أسلوبًا اتخذه القرآن والسنة النبوية في التربية ؛ كان من الضروري الاهتمام بها في تربية النشئ بغية تشويقهم إلى العمل الصالح ؛ تمشيًا مع قول الرسول ﷺ : « **ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن** » (١) .

ويبدأ المعلم أن يعرف ما لدى تلاميذه من عادات صالحة وعادات فاسدة ، ومن ثم يعمل على تنمية العادات الصالحة واقتلاع العادات الفاسدة . يكون ذلك بصورة مشوقة محببة إلى التلاميذ .

وأن يبرز المعلم لتلاميذه بأسلوب ممتع أضرار التمسك بالعادات السيئة ، وأن يربط معلم التربية الإسلامية كل ما يدرسه من موضوعات مادته بالبيئة المحلية ، وأن يعرف معلم التربية الإسلامية كيف يدرب تلاميذه ليربطوا دائمًا بين العادات والعقيدة الصحيحة ، وعليه أن ينمي في نفوس التلاميذ محاسبة النفس وهي : أن يقوم الفرد من تلقاء ذاته بأن يحاسب نفسه بنفسه ، أولاً بأول ، عن أعماله وأحواله وسلوكه وتصرفاته ، ما ظهر منها وما بطن ، وحتى يكون على بصيرة من أمره وذلك في ضوء المشروع .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ [سورة الحشر: ١٨] . وهذه إشارة إلى محاسبة النفس .

ولقد ربى الرسول ﷺ المسلمين الأوائل على المحاسبة الذاتية ، وكان يحذرهم

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٣١) .

من شدة حساب الآخرة ، فعرف هؤلاء أن الله لهم بالمرصاد ، وأنهم سوف يحاسبون يوم القيامة على كل شيء ، ولا ينجيهم من ذلك إلا المحاسبة الذاتية وصدق المراقبة ، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف يوم القيامة ، وحضّر عند السؤال جوابه ، وحسّن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته ، وطالت يوم القيامة وقفاته ، فقد روى شداد بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال : « **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ثم تمني على الله ﷻ الأماني** »(١) .

ومن أهم سمات النفس المؤمنة الورعة الوجلة ؛ المحاسبة على التصرفات والأفعال ، ما ظهر منها وما بطن ، وذلك حتى تتأكد أنها تسير على الطريق المستقيم الذي حدد معالمه القرآن الكريم ، ووضحه رسول الله ﷺ ، وسار عليه السلف الصالح ومن والاهم ، وحتى يبين لها الخطأ والانحراف عن ذلك الطريق ، فتعرف السبب وتعود إلى الحق ، وتتمسك به ، حتى لا تضل فتشقى . والمسلم الذي صح إسلامه هو القادر على محاسبة نفسه ، والتحكم في تصرفاته وأفعاله ، والعاقل الكيس من لام نفسه وعاتبها إذا ما أخطأت ؛ لأنه يخشى يوم الحساب الأعظم أمام الله الحسيب القدير (٢) .

وهكذا نلحظ حرص الإسلام على تنشئة الصغار على الأخلاق الفاضلة ؛ ليشبوا ويتربوا عليها ، إن اقتران العلم بالعمل ، والعبادات والشعائر بسلوك المسلم أساس من الأسس المهمة التي تقوم عليها شريعة الإسلام ، فكل ما فرضه

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد (٢/ ١٤٢٣) ح (٤٢٦٠) .

(٢) من مبادئ الإسلام لعلي لبن ص (١٣٣ ، ١٣٤) .

الله على المسلم ، وما سنه نبيه ﷺ أسس لبناء المسلم وبناء المجتمع الإسلامي القائم على الأخلاق الحميدة ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والزكاة وسيلة للوقاية من شح النفس والحسد ، والصوم تعويد على الصبر ، والشهادتان إقرار بالدخول في الإسلام ، والحج انتقال من الوطن إلى الأممية على أوسع نطاق ، وهكذا فإن كل الأعمال والعبادات التي أحلها الله وأباحها أو فرضها أو سنها نبيه ﷺ هي وسائل وغايات في آن واحد لإقامة أمة إسلامية رشيدة ، ومجتمع إسلامي رشيد .

هذا والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

١- الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، الدكتور محمود أحمد شوق ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤١٨ = ١٩٩٨م .

٢- إتحاف السادة المتقين ، الزبيدي ، بيروت .

٣- الأحاديث القدسية – جمعًا ودراسة - ، تأليف : الدكتور عمر علي عبد الله محمد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .

٤- إحياء علوم الدين ، لأبي حامد الغزالي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .

٥- أخلاقنا في الميزان ، الدكتورة فاطمة عمر نصيف ، دار المحمدي ، مصر ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .

٦- الأخلاق بين الفلسفة والإسلام ، الدكتور عبد المقصود عبد الغني ، مكتبة الزهراء ، مصر ، ١٤٠٦ هـ .

٧- الإسلام والبناء الروحي ، الأستاذ عبد التواب إبراهيم رضوان ، القاهرة ، ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦م .

٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الدكتور محمد السيد الجليند ، دار المجتمع جدة .

٩- الإنسان في الفلسفة الإسلامية ، الدكتور إبراهيم عاتي ، هيئة الكتاب المصرية ، مصر ، ٢٠٠٥ م .

١٠- الإنسان والقيم في التصوير الإسلامي ، الدكتور محمد حمدي زقزوق ، هيئة الكتاب المصرية ، مصر ، ٢٠٠٤ م .

١١- أهداف وخصائص التعليم الإسلامي ، الدكتور فاروق عبد المجيد السامرائي ، الأردن .

١٢- البيان في علوم القرآن الكريم ، للمؤلف ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ ، مطابع الشاطئ الحديثة ، الدمام .

١٣- تاج العروس ، للإمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ، دار الفكر ، لبنان ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م .

١٤- التربية الإسلامية ، الدكتور سراج محمد عبد العزيز وزان ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤١١هـ = ١٩٩١م .

١٥- الترغيب والترهيب للمنذري ، ضبط أحاديثه وعلق عليه : مصطفى محمد عمارة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ، مطابع قطر الوطنية ، الدوحة ، قطر .

١٦- تفسير البغوي ، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، دار طيبة الرياض ، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م .

١٧- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، علق عليه : عبد الوهاب عبد اللطيف ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة .

١٨- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي ، خرج أحاديثه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن صلاح عويضة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٩- جامع البيان ، للإمام الكبير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ ، دار المعرفة ، لبنان .

٢٠- حياة الصحابة ، لمحمد يوسف الكاندهلوي ، حققه وعلق عليه : الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ ، دار القلم ، دمشق ، سوريا .

٢١- خلق المسلم ، الشيخ محمد الغزالي ، دار الكتب الإسلامية ، ١٤٠٩هـ =

١٩٨٩م .
٢٢- دراسات في البناء الحضاري ، الدكتور محمود محمد سفر ، كتاب الأمة ، مصر ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .
٢٣- دلائل النبوة ، لأبي بكر البيهقي ، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه : الدكتور عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٤- ديوان حاتم الطائي ، تحقيق : الدكتور عادل سليمان ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٤١١ هـ = ١٩٩٠م .
٢٥- روح الإسلام ، الأستاذ محمد عطية الأبراشي ، هيئة الكتاب ، مصر ، ٢٠٠٣م .
٢٦- زاد المعاد ، ابن قيم الجوزية ، مصر ، ١٣٧٩هـ .
٢٧- سنن أبي داود ، دار الحديث ، القاهرة .
٢٨- سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الدعوة ، ١٤٠١هـ ، تركيا .
٢٩- سنن الترمذي ، للترمذي ، دار الدعوة ، ١٤٠١هـ ، تركيا .
٣٠- سنن النسائي ، جمع وشرح : السيوطي ، دار الدعوة ، ١٤٠١هـ ، تركيا .
٣١- سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ شخصيته وعصره ، الدكتور علي محمد الصلابي ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦هـ ، دار المعرفة ، بيروت .
٣٢- الشخصية ومبادئ علم النفس ، تأليف : الدكتور فرج عبد القادر طه ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٩م .
٣٣- شرح السنة ، للبغوي ، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط ، الطبعة

الأولى ، ١٣٩٩هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
٣٤- صحيح البخاري ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مصر ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .
٣٥- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، دار صادر ، بيروت .
٣٦- عبقرية عمر ، الأستاذ عباس محمود العقاد ، مكتبة الأسرة ، مصر .
٣٧- غريب الحديث ، لأبي إسحاق إبراهيم الحربي ، تحقيق ودراسة : الدكتور سليمان العايد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ، دار المدني ، جدة .
٣٨- غريب الحديث ، لابن الجوزي ، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه : الدكتور عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، نشر وتوزيع : إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (سابقًا) ، الرياض .
٤٠- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للبخاري ، تأليف : فضل الله الجيلاني ، الطبعة الثانية ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة .
٤١- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق القاهرة .
٤٢- قصة الحضارة ، ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، مصر .
٤٣- القضاء في الإسلام ، الدكتور محمود الشربيني ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .
٤٤- قيم أخلاقية من القرآن والسنة ، الدكتور محمد سيد أحمد المسير ، القاهرة ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م .
٤٥- القيم السياسية في الإسلام ، الدكتور إسماعيل عبد الفتاح ، دار الثقافية ،

القاهرة ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م .
٤٦- القيم الضرورية مقاصد التشريع الإسلامي ، الدكتور محمد فهمي علوان ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٩م .
٤٧- القيم والحضارة ، الدكتورة أميرة حلمي مطر ، القاهرة .
٤٨- كشاف اصطلاحات الفنون ، العلامة محمد علي التهانوي ، تحقيق : الدكتور علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٦٦م .
٤٩- لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ، الأستاذ محمد قطب ، دار الشروق ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .
٥٠- لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
٥١- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، تأليف : السيد أبي الحسن الندوي ، دار نهر النيل ، ١٤٠٩ = ١٩٨٩م .
٥٢- مجمع الزوائد ، نور الدين الهيثمي ، نشر : دار الكتاب ، بدون تاريخ الطبع أو رقم الطبعة .
٥٣- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم ، دار الفكر ، بيروت .
٥٤- مسند الإمام أحمد ، دار الدعوة ، ١٤٠١هـ ، تركيا .
٥٥- مسند الشهاب ، لمحمد بن سلامة القضاعي ، تحقيق : حمدي السلفي ، نشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
٥٦- المشكلة الخلقية ، الدكتور زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، القاهرة .
٥٧- معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .
٥٨- المعجم الكبير ، مجمع اللغة العربية ، مصر .

٥٩- المعجم الكبير للطبراني ، حققه وخرج أحاديثه : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

٦٠- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مصر .

٦١- المفردات ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، لبنان .

٦٢- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، الدكتور يوسف حامد العالم ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .

٦٣- مقدمة في الفلسفة العامة ، الدكتور يحيى هويدي ، دار النهضة العربية ، مصر ، ١٩٧٠م .

٦٤- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها ، لأبي بكر محمد الخرائطي ، تحقيق ودراسة : الدكتور عبد الله بن بجاش ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ ، مكتبة الرشد ، الرياض .

٦٥- من مبادئ الإسلام ، الأستاذ علي لبن ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .

٦٦- منهج التربية الإسلامية ، لمحمد قطب ، دار الشروق ، مصر ، ١٤٢٥هـ .

٦٧- منهج الرسول في تربية أصحابه ، الشيخ فيصل بن علي يحيى أحمد ، الرياض ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

٦٨- الموسوعة في سماحة الإسلام ، لمحمد الصادق عرجون ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة .

٦٩- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، إعداد : مجموعة من المختصين ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، دار الوسيلة ، جدة .

٧٠- النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير الجزري ، خرج أحاديثه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م .

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحـة
المقدمة	٥
المدخل : مفهوم الأخلاق	١١
علاقة الخلق بالفضيلة	١٢
أهمية الأخلاق في بناء المجتمع الإنساني	١٣
علاقة الخُلق بالضمير	١٤
الفصل الأول : منظومة الأخلاق في الإسلام	١٧
١- الصدق	١٧
٢- العدل	٢٠
٣- المساواة	٢٧
٤- الوفاء	٢٩
٥- الأمانة	٣٠
معاني الأمانة وتطبيقاتها في الإسلام	٣١
٦- الحياء	٣٣
من مواضع الحياء في الإسلام	٣٥
من فوائد الحياء	٣٦
٧- الحلم	٣٧
٨- ٩- الكرم والجود	٣٧
١٠- الصبر	٣٩

الموضـــوع	الصفحـة
سياقات الصبر والمصابرة في القرآن الكريم	٣٩
من فوائد الصبر والمصابرة	٤١
١١- التَّواضع	٤٢
من فوائد التواضع	٤٤
الفصل الثاني : أسس الأخلاق الإسلامية وخصائصها	٤٥
أولاً : أسس الأَخلاق في الإسلام	٤٥
١- العقيدة	٤٦
٢- العبادات	٥٤
ثانياً : خصائص الأخلاق الإسلامية	٥٧
١- قرآنية الأخلاق	٥٧
٢- إنسانيتها وعمومها الجنس البشري كله	٦٢
٣- شمولية الأخلاق الإسلامية كل مناحي الحياة	٦٤
٤- اتصال الأخلاق بعضها ببعض وترابطها وتفاعلها	٦٥
الفصل الثالث : تعلم الأخلاق الإسلامية في ضوء تعاليم الإسلام ومناهج التربية	٦٧
التعلم والتربية	٦٧
إعداد الفرد الصالح	٧٠
منهج التربية الخلقية في الإسلام	٧٣
أسس التربية الخلقية في الإسلام	٧٥

الموضـــوع	الصفحـة
طرق الترغيب في التربية الإسلامية وأساليبها	٧٨
١- اتباع كتاب الله وسنه رسوله ﷺ	٧٨
٢- القدوة الحسنة	٧٨
٣- طريقة القصة	٧٩
٤- أسلوب الموعظة	٧٩
٥- أسلوب تفريغ الطاقة	٨٠
٦- أسلوب الإقناع الفكري	٨٠
٧- الاهتمام بالممارسة والعمل	٨١
٨- أسلوب العادة أو التعويد	٨٢
المصادر والمراجع	٨٥
فهرس الموضوعات	٩٢

الصفر للنسخ والطباعة
٠٥٠٥٩٢٥٧٦٥